العلاقات العامة كما تعكسها شخصية الرسول « صلى الله عليه وسلم »

إعداد

الدكتورة مـــــي الخاجه

أستاذ مشارك بقسم الاتصال الجماهيري
جامعة الإمارات العربية المتحدة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
وحدة اللغات والاتصال

نحاول في هذه الدراسة أن نقدم بالبرهان القرآني وبالدليل من السنة الشريفة ومن خلال أقوال الصحابة والتابعين ما يؤكد أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم و بكل المقاييس هو المثل الكامل في العلاقات العامة ، وذلك عن طريق الدراسة الكيفية المسحية لخطبه بشكل عام وخطبة الوداع بشكل خاص ، وكذلك دراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستنباط ما يدلل على كونه مثلا يحتذى به في مجال العلاقات العامة منذ آلاف السنين وما دامت الحياة ، حيث نجح في التعريف بالإسلام ونشر الدعوة الإسلامية عبر فنون وقواعد العلاقات العامة .

وعليه يتحدد موضوع هذه الدراسة في التساؤل التالي : هل هناك ما يدلل على أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو المثل الكامل في مجال العلاقات العامة ؟

لقد اعتمدت الباحثة على منهج المسح وعلى التحليل الكيفي لخطبه عليه الصلاة والسلام بشكل عام واختارت بشكل خاص خطبة الوداع كنموذج للدراسة المتعمقة ، وذلك للإجابة عن التساؤل المطروح .

كما استخدمت الباحثة نظريتي القائم بالاتصال ومحتوى الرسالة واستراتيجيات الإقناع ، فمن حيث القائم بالاتصال فهو لا يقل عن دراسة محتوى الرسالة الإعلامية . وقد حدد " ديفيد بيرلو " الشروط الواجب توافرها في القائم بالاتصال على النحو التالي : [1]

١. توافر مهارات الاتصال وهي مهارة الكتابة والتحدث والقراءة والإنصات والقدرة على التفكير السليم لتحديد أهداف الاتصال.

٢. اتجاهات القائم بالاتصال نحو نفسه ونحو الموضع ونحو المتلقين . وكلما كانت هذه الاتجاهات إيجابية زادت فعالية القائم

---

1 حسن عماد مكاوي وليلى حسين السيد ، الاتصال ونظرياته المعاصرة ، ط٢ (القاهرة: الدار المصرية للكتاب ، ٢٠٠١) ص١٧٥ – ١٧٦

بالاتصال .

٣. مستوى معرفة المصدر وتخصصه بالموضوع الذي يعالجه يؤثر في زيادة فعاليته .

٤. مركز القائم بالاتصال في إطار النظام الاجتماعي والثقافي ، وطبيعة الأدوار التي يؤديها ، والوضع الذي يراه الناس فيه يؤثر على فعالية الاتصال .

كما حدد " الكيس تان " العوامل التي تجعل القائم بالاتصال مؤثرا في إقناع الجمهور في ثلاثة عوامل هي المصداقية والجاذبية والسلطة (النفوذ)[٢]

أما فيما يختص بمحتوى السلوك الاتصالي فإنه يتخذ أشكالاً عديدة بعضها يستخدم الاتصال اللفظي الذي يجمع بين اللغة المنطوقة والرموز الصوتية ، وبعضها الآخر يتخذ شكل الاتصال غير اللفظي الذي يتمثل في الإشارات والحركات والأفعال والألوان وغيرها . وأهم الأمور التي يجب مراعاتها في الرسالة هي سهولة استيعابها من جانب المتلقي ، واستخدام الاستمالات المؤثرة على الإقناع ، ومراعاة خصائص الوسيلة المستخدمة في توصيل المعنى للجمهور المستهدف .[٣]

وحددت الباحثة أهداف هذه الدراسة فيما :

- التأكيد على أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو المثل الكامل في العلاقات العامة لكل زمان ومكان

- تقديم هذا الجانب جانب العلاقات العامة من سنته عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام للاقتداء بها في التعامل مع كل من يحاول تشويه سيرته الطاهرة .

- إبراز الأسلوب النبوي في مواجهة المشاكل الاجتماعية ، و المنهج الصحيح في تفسير الظواهر .

---

2 المرجع السابق ، ص١٧٥ - ١٧٦

3 المرجع السابق ، ص ١٧٨

- استنباط الجانب الإعلامي لخطبه عليه السلام ، وبيان خصائصها العامة.

- تدبر وتحليل خطبه صلى الله عليه وسلم للتعرف على الصور والأساليب البلاغية فيها .

- إثبات أن العلاقات العامة ليست غربية المنشأ .

و تنطلق أهمية هذه الدراسة مما يلي :

- **شخصية الخطيب** (القائم بالاتصال) وهو هنا محمد صلى الله عليه وسلم . فالخطيب يواجه الجمهور ويحاول التأثير فيه بطريقة أدائه ، ونبرة صوته وجودة إلقائه وروعة بيانه ، والخطيب يواجه ويخاطب القارئ والأمي والبصير والطفل والكبير ، وهو يتعامل مع القوى البشرية مباشرة يخاطبها ويستميلها ويناجي ضميرها ويحرك بواعث الخير فيها ويسوق أدلته وبراهينه لإقناعها ويغير من أساليب الخطابة وتعبيراتها حسب ما يطرأ على الجمهور من تغير .

- أول دراسة تربط بين مضامين الخطابة والعلاقات العامة .

- **أهمية الخطابة (الرسالة الإعلامية)** ذاتها وباعتبارها وسيلة من وسائل الاتصال الجمعي المباشر ، حيث الغاية منها إرشاد الناس إلى الحقائق وحملهم على ما ينفعهم في العاجل والآجل ، لذلك أصبحت الخطابة وسيلة من وسائل السيادة والزعامة ، وكانت تعد شرطا من شروط الإمارة ، فهي تكمل الإنسان وترفعه إلى ذوي المجد والشرف . [4]

وتدور التساؤلات البحثية لهذه الدراسة حول الأتي:

١. ما مصادر العلاقات العامة عند النبي محمد عليه السلام؟

٢. ما هي المميزات الشخصية لمحمد صلى الله عليه وسلم التي جعلته المثل

---

4 التفاصيل في : احمد علوش ، علم الخطابة ، وعبد الغفار محمد عزيز(الريا ض: دار المعارف السعودية للطباعة والنشر، ١٩٧٧) ص ٧٠

الكامل في العلاقات العامة ؟

٣. كيف كان هديه صلى الله عليه وسلم في خطبه من حيث الموضوع ومن حيث الأسلوب الخطابي ؟

وقد قسمت الباحثة دراستها إلى أربعة أقسام : القسم الأول عبارة عن تمهيد نظري يتضمن تعريف الخطابة ، و خصائصها ، ومكانتها في الدعوة إلى الله وأنواعها ، وما ينبغي أن يتوفر في الخطيب والخطابة. أما القسم الثاني فيتناول النبي محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل في العلاقات العامة ويتضمن مصادر العلاقات العامة عند النبي محمد عليه السلام ، و المميزات الشخصية لمحمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل في العلاقات العامة ، وجوهر شخصيته زو هديه صلى الله عليه وسلم في خطبه. أما القسم الثالث : فيقدم نموذجا لإحدى خطبه وهي خطبة الوداع . علما بأن الأقسام الثلاثة تسعى إلى الإجابة عن التساؤلات المطروحة للتدليل على أنه المثل الكامل في العلاقات العامة وأخيرا القسم الرابع فيتضمن الخاتمة و المراجع النهائية .

***

القسم الأول : التمهيد

ا. تعريف الخطابة :

الخطابة فن من فنون الكلام غايته إقناع السامعين واستمالتهم والتأثير فيهم ، بما ينفعهم بعاجل أمرهم وآجله، والخطيب الماهر هو من يتخذ الوسائل المختلفة لإقناع السامعين ويستعين بالأدلة والبراهين ، ثم هو يحرك مشاعرهم وعواطفهم لاستمالتهم ، ويستعين على التأثير بقوة الأسلوب وبلغته ونبرات الصوت ودقة الإشارة وأمارات الوجه من تعبير صامت يعزز مدلول الكلام .[٥]

والخطابة أشد الوسائل الجمعية إقناعا وتأثيرا وهي تعبر عن عقيدة الخطيب ورأيه في مشكلات الوجود تشتد باشتداد الأزمات التي ترتبط ارتباطا جذريا بمصير الجماعة وتقرير مستقبلها . وغايتها الكبرى هي أن تحول الأفكار الذهنية الجامدة إلى عواطف ينفعل بها السامع ويتصرف بتأثيرها تصرفا لا قبل له بها فيما يكون في حالة اليقين العادي .[٦]

والخطيب الذي يترسخ تأثيره في الشعب ويفعل في تطويره وتحوله من موقف إلى آخر إنما هو قبل كل شئ مفكر جاد يتبصر بالأمور ويتعمق بأسرار الكون حتى يكتشف الحقيقة ويعلنها للسامعين في إطار عاطفي خيالي يجتذبهم ويؤثر فيها غاية التأثير .[٧]

وللرسول صلى الله عليه وسلم مواقف خطابية عديدة ، منها ما كان له صفة التكرار المنتظم، فأطلق عليها الخطب الدورية ، فما كان يتكرر منها

---

5 التفاصيل في : لسان العرب – ابن منظور ١/٣٦٠-٣٦١ مادة : خطب و محمد إبراهيم ، الجانب الإعلامي في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٩٨٦) ص ١٤

6 ايليا حاوي ، فن الخطابة وتطوره عند العرب (بيروت : د.ن ، د.ت) ص ٨ و٦ و١٠

7 المرجع السابق ، ص ٨ و١٣ و١٧ .

كل أسبوع مرة أطلق عليها اسم الخطب الأسبوعية ، وما يتكرر منها كل عام مرة أطلقت عليه اسم الخطب السنوية ، وما عدا ذلك من خطب نبوية أطلق عليها اسم خطب غير دورية

مما سبق يمكن تلخيص أبرز خصائص الخطابة في الآتي :

١. تتوجه إلى الجمهور على اختلاف مداركهم وثقافاتهم وميولهم الفكرية والنفسية .

٢. تتوخى الإقناع والاستمالة ، بالحجة العقلية طورا ،وبالتأثير العاطفي طورا آخر ، وبهما معا .

٣. قال ابن رشد : " لا توجد قوة الإقناع إلا في الخطابة والجدل " كما قال في موضع آخر : " وليس عمل هذه الصناعة – يعني الخطابة – أن تقنع ولا بد ... وقد يقنع من ليس بخطيب ، وإن كان الأصل في الخطيب الإقناع كالبرء في الطبيب " [٨]

٤. قد يكون موضوع الخطبة معلوما للسامعين من قبل وقد لا يكون .

٥. يعتمد نجاح الخطبة على مكانة الخطيب وجاهه علما أو فضلا أو إصلاحا أو إلفا أو تفاعلا أثناء الخطبة ويظهر صدقه في لهجته ونبرات صوته .

٢. مكانة الخطابة في الدعوة إلى الله :

أن الخطابة عماد الدعوة من جهة المناهج وطرائق البيان ، إذ هي الوسيلة المثلى في تبليغ دين الله إلى الناس مباشرة مشافهة ، ولقد اعتمد عليها الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وقد أولى الدين الحنيف الخطابة عناية خاصة يتضح ذلك من خلال سيرة إمام الدعاة وقدوة الواعظين ، صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى في خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ **وأنزلنا**

---

8 تلخيص الخطابة / ابن رشد ، ص ٢٤

إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾"[9] . وقال جل ذكره في آية جامعة : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ﴾[10].

والخطابة من أجّل النعم ، وقد أمتن الله – تبارك وتعالى – على الناس أن أوجد لديهم القدرة على التعبير عما تستجيشه النفوس ، قال تعالى : ﴿ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين﴾ [11] . وقال تعالى : ﴿الرحمن، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان﴾ [12] . وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " إن من البيان لسحرا " [13] .

ولهذا تبوأت الخطابة مكانة عالية في التشريع الإسلامي حتى غدت معلما بارزا من معالم المجتمع الإسلامي. [14]

٣. أنواع الخطب :

قسمها قدماء الفلاسفة كأرسطو إلى ثلاثة أنواع : قضائية ، واستشارية، واستدلالية [15] . وهذا التقسيم المنطقي يبدو غير جامع لصور الخطابة في هذا العصر ، إذ تعددت أغراضها وتنوعت أنماطها . وقد عد بعض الباحثين ستة أنواع للخطابة هي : [16]

أ. **الخطبة الوعظية** : ومحورها العام الموعظة الحسنة والتذكير بالله – عز وجل – وبيوم الحساب وما فيه من جزاء ثوابا وعقابا ، وبيان

---

9 سورة النحل : الآية ٤٤

10 سورة إبراهيم : الآية ٤

11 سورة البلد : الآية ٨ –٩

12 سورة الرحمن : الآية ١–٤.

13 متفق عليه ، وهو جزء من حديث البخاري ٥/١٩٧٦/٤٨٥١ ومسلم : ٢/٥٩٤/٨٦٩ الجمعة ، وأبو داود ٥/٢٧٥ والترمذي ج ٢٠٢٩ البر.

14 عبد الرب بن نواب الدين ، الدراسة النظرية للخطابة ، سلسلة أصول الدعوة وطرقها (٣) ، ط١(الرياض : دار العاصمة ، ١٤١٣ هـ) سورة ص : الآية ١٢

15 احمد الحوفي ، فن الخطابة (القاهرة : د.ن ، د. ت) ص ٧٢

16 المرجع السابق ، ص ٧٨

أحكام الشرع وحكمه و غرضها التعليم والتذكير .

ب. **الخطبة الإجتماعية** : وموضوعها النكاح أو خطبة النساء. وهذا النوع من الخطابة أشق على النفس من الأنماط الخطابية الأخرى ، و ربما ألقيت هذه الخطبة قعودا دون غيرها .

ت. **الخطبة الحفلية** : وهي التي تلقى في المحافل العامة وأغراضها: التكريم أو التهنئة أو التأبين ، أو علاج معضلة .

ث. **الخطبة القضائية** : وتلقى غالبا في المحاكم والدوائر القانونية والقضائية .

ج. **الخطبة الحربية** : وتلقى في ميادين الوغى يتولاها قادة الجيش ، يرغبون جنودهم في القتال والاستبسال ويبينون لهم كرامة الشهداء ونزلهم ، وما اعد الله لهم في دار الخلد من قرة أعين [١٧]

ح. **الخطبة السياسية** : ويلقيها في الأغلب الزعماء والساسة والمنتخبون في المجالس النيابية والشورية ولها أغراض شتى .

وتجدر الإشارة إلى أن تقسيم الخطب إلى دينية أو وعظية وأخرى اجتماعية وثالثة سياسية .. إلى آخره لا يعني التغاير والتضاد ، لان الدين الإسلامي يضم في أرجائه كل قضايا الحياة . قال تعالى : " وما فرطنا في الكتاب من شي " . وعليه فهذا التقسيم الذي أوردناه قصد به بيان الخطابة في أغراضها ومضامينها ومقاصدها .

٤ ــ ما ينبغي إن يتوفر في الخطيب .

إن الخطابة أسلوب رفيع من أساليب الدعوة إلى الله عّز وجل ، وهي الأسلوب المباشر الذي يخاطب العقــول والضمائر ويحرك الوجدان والمشاعر، ومن أهم ما ينبغي أن يتحلى به الخطيب بالإضافة إلى صفاته الفطرية الإخلاص وسعة الاطلاع والصدق في القول والعمل والقصد . [١٨]

---

17 صحيح البخاري: ٤/١٥٣١/٣٩٤٤ المغازي

18 مزيد من التفاصيل في : عبد الرب بن نواب الدين ، الدراسة النظرية للخطابة ،

كما انه لابد من إن يكون الخطيب شديد الملاحظة حاضر البديهة طلق اللسان رابط الجأش قادرا على مراعاة مقتضى الحال ، يؤثر في السامعين بقوة شخصية فضلا عن قوة آرائه . [١٩]

إذن ما سبق من خصال هي أساس نجاح الخطيب في تحقيق أهدافه .

ومما ينبغي أن يتوفر في الخطابة من حيث الموضوع والمنهج والغاية الآتي :

١. أن تكون موافقة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم في كل شئ في منهج العرض وأسلوب التدليل وفي أجزائها وفي تحري أوقاتها وفي الإطالة والإيجاز وفي كثرة الاستشهاد بالقرآن العظيم والحديث النبوي الشريف وفي كل ما يمت إلى الخطابة بصلة ..
٢. الأخذ بالوسائل والمعارف والأساليب المعاصرة في حدود الشرع والخلق .
٣. أن تتضمن المفيد من القضايا المنطقية مما له تأثير حسن في الإقناع كتنوع الأدلة إلى أوليات ومشاهدات ومجريات وحسيات وغيرها . [٢٠]
٤. أن تكون مستوعبة لما تمخضت عنه تجارب أهل الاختصاص من الخطباء ، وما يذكرونه من أساليب الخطابة كالتفنيد والإثبات والمحاجة ، وكذلك خصائص الأسلوب الخطابي من الإطناب والوضوح وإثارة الشعور وحلاوة الجرس والقياس المضمر ووسائل تحقيق كل منها [٢١] .
٥. أن تكون متمشية مع معطيات علم النفس مما له صلة بالنفس المخاطبة ، كمعرفة عوامل التأثير والتأثر ، وما تنطوي عليه هذه النفس مما جبلت

سلسلة أصول الدعوة وطرقها (٣) (الرياض : دار العاصمة ، ٨١ -٨٧ وأبي عبدالله مصطفى العدوي ، أدب التخاطب ط١ (القاهرة : مكتبة صنعاء الأثرية ، ١٩٩٩) ، ص ١٥٠ -١٧٧

19 ايليا حاوي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٧ بتصرف

20 على محفوظ ، فن الخطابة ، (القاهرة : د. ن ، ١٩٩٩) ص ٣٤

21 المرجع السابق ، ص ١٩٦ - ١٧٠

عليه من محبة ورغبة ونفور وفرح وحزن ورجاء أمل وخوف وغضب وحياء ... ونحو ذلك بمعرفة أسباب هذه السمات البشرية ودوافعها ومكامن أنماطها أو كفها .

٦. كما ينبغي أن يكون ابن بيئته له نمطه الخاص في الكلام والبيان ، وله رونقه المتميز في الخطابة وله شخصيته المستقلة التي لا تتكرر .

والخطابة بالشكل الذي أوردناه موهبة وعلم . وعليه فإن على الخطيب الناجح أن يتجنب الوقوع في الأخطاء التي يقع فيها الخطباء ، و هذه الأخطاء هي الإطالة ، وعدم حفظ النصوص الشرعية ، والاستشهاد بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة أو القصص الخرافية والأساطير مما يكذبه الواقع ، والتقليد بمحاكاة غيره من مشاهير الخطباء والوعاظ والقراء .

***

القسم الثاني
النبي محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل في العلاقات العامة

ا. مصادر العلاقات العامة عند النبي محمد عليه السلام :

نقصد بالمصادر المنابع التي ساهمت في تكوين شخصيته كمثل كامل للعلاقات العامة وهي بالتأكيد منابع تاريخية وبيئية ووراثية اكتسبها عليه السلام من نسبه الطاهر الشريف بوصفه إنسانا ، والمنابع السماوية التي جسمها الله تعالى في شخصيته ، وهي مجموعة الصفات والمميزات التي تميز بها عن غيره بصفته نبيا يتمتع بصفات النبوة الخاصة به ، وبصفته رسولا اصطفاه الله تعالى ليحمل رسالة للعالم اجمع ، وما يتطلبه ذلك من القدرة والصفات من اجل إيصال الرسالة للمرسل إليهم وهم الناس كافة على اختلاف لغاتهم ومعتقداتهم وثقافاتهم وان يجمعهم في ظل رسالة سماوية واحدة ، وهو أمر يتطلب على من يحمل هذه الرسالة أن يتصف بصفات معينة تؤهله قدرة على إيصالها إلى الناس كافة كما أنزلها الله تعالى .

ولشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم الدور الكبير في نشر الدين الإسلامي بوسائل العلاقات العامة لما امتلكه من صفات متميزة لم يتصف بها غيره ، فكانت شخصيته أنموذجا دفعت الكثيرين إلى الإيمان به حتى قبل أن تنزل الرسالة أو يكتمل نزولها .[٢٢]

ومن الأمور التي كونت شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم باعتباره المثل الكامل للعلاقات العامة أحكام الشريعة الإسلامية التي وضعت نظاما دبلوماسيا متقدما ، حرص النبي محمد صلى الله عليه وسلم على أن

---

22 مزيد من التفاصيل عن شخصيته وصفاته انظر : سهيل حسين الفتلاوي ، دبلوماسية النبي محمد صلى الله عليه وسلم : دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر ، ط١ (بيروت : دار الفكر العربي ، ٢٠٠١) ص٧٣ -١٣٩

يكون الأسوة الحسنة في تطبيقها على نفسه أولا ، وان يكون أمينا على نقلها للناس كافة .

٢. المميزات الشخصية لمحمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل في العلاقات العامة :

تتطلب مهنة العلاقات العامة العديد من الصفات الشخصية والجسدية والمهارات الإتصالية التي تعين صاحبها على أداء مهام وظيفته على أكمل وجه . فمن الصفات الشخصية لخبير العلاقات العامة الكياسة وحب الناس واحترامهم والتعفف والتواضع والموضوعية و والتذكر القوي والسريع ، والمرونة والثقافة الواسعة وحضور البديهة والإحساس العام بالقدرة على الشعور بمدى توافقه مع الغير أو العكس . والتكيف والخيال الخصب والاستقامة والصدق ، والذكاء والشخصية المستقرة المتزنة ، و الجاذبية والمنطق والاسم واللقب الحسن وأناقة المظهر .[٢٣]

أما المهارات الإتصالية فهي البحث والتخطيط والتنظيم والاتصال والتعامل الجيد مع الناس وكبار الشخصيات . والقدرة على التعبير عن النفس، وحسن الإصغاء والاستماع وسرعة الملاحظة والتعلم المستمر ، وفهم الآخرين والتفاهم معهم، والقدرة على طرح أفكار جديدة ومناسبة والنضج الفكري ، والقدرة على تحديد الأولويات وإقناع الآخرين ، وعلى مواجهة الجمهور ، و على حل المشكلات ... إلى آخره .[٢٤]

لقد جمع الله لمحمد صلى الله عليه وسلم من المعارف الوافرة ، والعلوم التي لم تزل عن وجوه الهداية سافرة ، وخصه بالاطلاع على جميع

---

23 مزيد من التفاصيل حول خصائص خبير العلاقات العامة : راشد على عيسى ، مهارات الاتصال (قطر : وزارة الأوقاف ف ألا سلامية ، ٢٠٠٤) ص ٦٣ -٦٤ .ولبنان هاتف الشامي ، العلاقات العامة : المبادئ والأسس العلمية ، ط١(الأردن : اليازوري، ٢٠٠١) ص١٨٣ وعلى عجوة ، الأسس العلمية للعلاقات العامة (القاهرة: عالم الكتب ، ١٩٨٩) ٥١ – ٥٢

24 المرجع السابق و www.arado.org.eg/AradoTrainingDetails.asp?ID=10140&TCC atid=24&TCTvpe=P&TCYear=2006

مصالح الدنيا والدين ، وتعرف قوانين شريعته ، وحفظ أسرار وديعته ، وسياسة عباده ونبأ بسير الأنبياء والرسل والجبابرة ، وما كانت عليه الأمم قبل بعثته الزاهرة ، وأحاديث القرون الماضية ومقدار مددهم وأعمارهم وحكم حكمائهم وأخبار أحبارهم ..... ومنحه جل وعلا إحاطة عظيمة بلغة العرب وشوا رد ألفاظها ، وضروب فصاحة خطبائها ، وبلاغة وعاظها وأتاه جوامع الكلم كلها وعرفه أيامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها .....إلى آخره [٢٥]

ومن الواضح إن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد توافرت فيه من السمات الشخصية والمهارات الإتصالية ما تؤهله على أداء رسالته وإقامة علاقات متميزة مع الناس كافة باختلاف مشاربهم ، وذلك على النحو التالي :

أ. الاسم واللقب :[٢٦]

لقد كرم الله النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأن لقبه بعدة ألقاب فقال القاضي عياض : قد خص الله نبيه بأن سماه : الأكرم والأمين والأول والآخر والبشير والجبار والحق والخبير وذو القوة والرؤوف والرحيم والشهيد والشكور والصادق والعظيم والعفو والعالم والعزيز والفاتح والكريم والمبين والمؤمن والمهيمن والمقدس والمولى والولي والنور والهادي وطه وياسين .. الخ .وقد روي عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم انه قال :" إن لي أسماء أنا محمد ، و أنا احمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي . وروي انه صلى الله عليه وسلم قال :" لي عشر أسماء عند ربي ، محمد واحمد والفاتح والخاتم وأبوا لقاسم والحاشر والعاقب والماحي ويس وطه . وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون الدبلوماسي وخبير العلاقات العامة جميل الاسم و الوجه لإدراكه عليه السلام أنه بذلك تنجذب إليه القلوب ويتفاءل الناس بحسن صورته واسمه.

---

25 التفاصيل في محمد احمد جاد المولى بك ، محمد المثل الكامل ، ط٦ (القاهرة : مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ، ١٩٦٨) ص١٩

26 سهيل حسين الفتلاوي ، مرجع سبق ذكره ، ص٧٦ – ٧٧

ب. حسن الصورة والخلق :

يقصد بحسن الصورة أن يكون خبير العلاقات العامة جميلا رشيقا متكامل الأعضاء مع بعضها غير مصاب بعاهة أو تشويه. وأهمية الخلق الحسن يتجلى في غرس المحبة لدى الطرف الآخر . فقد قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم : " إذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه "[٢٧]. وقد وصف الله تعالى النبي محمد صلى الله عيه وسلم بالخلق العظيم لقوله تعالى : ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾[٢٨] . وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أحسن الناس وجها وخلقا ، أزهر اللون ليس بالآدم ، ولا بالأبيض، أي أنه ليس شديد السمرة ولا شديد البياض [٢٩]. وكان لجمال النبي محمد صلى الله عليه وسلم التأثير النفسي في الناس ، ذلك أن حسن الصورة تغرس في نفوسهم المحبة والمودة . كما اتصف النبي محمد عليه السلام برشاقة الجسم.[٣٠]

ت. حسن المظهر :

ويقصد بحسن المظهر أن يجتمع في الشخص نظافة الجسم والملبس ، والتناسق في الألوان والملابس ونوعيتها وملاءمتها لأذواق الناس وعاداتهم ، بحيث يتميز خبير العلاقات العامة بأناقته الفائقة ويكون جذابا محبوبا ترصده العيون وتميل إليه القلوب وتشتاق إليه النفوس وتهوى الناس معاشرته . وبناء عليه فإن من أسباب نجاح النبي محمد صلى الله عليه وسلم في أداء رسالته واحترامه من قبل الآخرين انه كان جميل الشكل والمظهر . وصار تعلق الناس به إجلالا ورهبة يمازجها التقدير والحب لكونه احسن الناس وجها وأحسنهم خلقا . فهو شديد العناية بنفسه وشخصه محبا للجمال والتجمل

---

27 المرجع السابق ، ص ٨١

28 سورة القلم : الآية ٤

29 الخصائص الكبرى ، ج١ ، ص ١٨٠ في سهيل حين الفتلاوي ، مرجع سابق ، ص ٨١

30 سهيل حين الفتلاوي ، مرجع سابق ، ص ٨٢

مشفوعا بالنظافة وحسن المظهر ولم يكف يوما عن أخذ زينته ورعاية هندامه، سواء في بيته أم في الحياة العامة . وكان يتحدث بذلك وينصح به[٣١]. وعند ممارسة النبي صلى الله عليه وسلم عمله كخبير للعلاقات العامة وممارسة عمله الدبلوماسي كان يلبس أحسن الثياب ويأمر أصحابه بذلك . فقد روي عنه أنه عندما وفد عليه وفد كنده كانت عليه حلة يمانية وعلى أبى بكر وعمر مثلها ُ قد أمر النبي محمد أن يكون المسلم وقورا مهيبا قاصدا ما يقوله ويعمله . فقد روي عنه أنه قال :" أن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة ".[٣٢] لقد كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم بحق عنوانا لمظهر خبير العلاقات العامة الأمثل في كل زمان ومكان .

٣. جوهر شخصية محمد صلى الله عليه وسلم باعتباره المثل الكامل في العلاقات العامة :

إذا كانت مهنة العلاقات العامة قد أوجبت أن يكون خبير العلاقات العامة حسن المظهر ، فإن ذلك لا يعني أن يكون عل حساب جوهر شخصيته كخبير للعلاقات العامة . ذلك أن المظهر هو المفتاح للوصول إلى جوهر شخصية خبير العلاقات العامة ، التي تعد الأساس في تنفيذ المهمات والوظائف. ذلك لأن خبير العلاقات العامة الناجح هو الذي يستطيع أن ينفذ إلى قلوب الجمهور المستهدف ويوصل الرسالة المكلف بحملها إليهم ويقنعهم بمحتواها . ومن الأمور المؤثرة في جوهر شخصية خبير العلاقات العامة فصاحة اللسان ، ملما بلغة القوم المرسل إليهم والذي يتحدث إليهم ، وعريق النسب وذات أخلاق عاليه ، تمكنه من التأثير في قلوب الناس بيسر وسهولة .

وقد كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم افصح الناس لغة وأعرقهم نسبا وأعلاهم أخلاقا ، وفيما يلي تفصيل ذلك :

---

31 المرجع سابق ، ص ٨

32 المرجع سابق ، ص ، ص ٨٤

أ.فصاحة محمد صلى الله عليه وسلم اللغوية وبلاغته :

من المسلمات التي يجب أن تتوافر بخبير العلاقات العامة هي أن يكون فصيح اللسان ، تمكنه من التعبير عن أفكاره بصورة واضحة ، وأن يوصل الرسالة إلى الجمهور المستهدف بيسر وسهولة ، وأن يستخدم الألفاظ والمعاني المناسبة بحسب فهم وإدراك الجمهور المتلقي وقدراته، وأن يستخدم الكلمات الفصيحة الجميلة التي تجذب السامع إليه فيستمتع بها .

إن فصاحة محمد صلى الله عليه وسلم قد تكاملت له في كلامه ، وفي هيئة نطقه ، وفي موضوع كلامه . فكان أعرب العرب . كما قال عليه السلام : " أنا قرشي واسترضعت من بني سعد بن بكر " . فله من اللسان العربي أفصحه بهذه النشأة القرشية البدوية الخاصة .. وهذه هي فصاحة الكلام . [٣٣] . وكان جمال فصاحته عليه السلام في نطقه كجمال فصاحته في كلامه ، وخير من وصفه بذلك عائشة رضي الله عنها ، حيث قالت : " ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسردكم هذا . ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل ، يحفظه من جلس إليه . كما اتفقت الروايات على تنزيه نطقه من عيوب الحروف ومخارجها ، وقدرته على إيقاعها في احسن مواقعها . فهو صاحب كلام سليم في منطق سليم . كما انه صلى الله عليه وسلم قد تنزه في فصاحته السائغة أن يكون سليما في نطقه ثم لا يقول شيئا يستحق أن يستمع إليه السامع في موضوعه . فما من حديث له حفظه الرواة والثقاة إلا وهو دليل صادق على أنه قد أوتي حقا " جوامع الكلم " ورزق من فصاحة الموضوع كفاء(أي قدر) ما رزق من فصاحة اللسان وفصاحة الكلام . [٣٤]

ويصف القاضي عياض فصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: " وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من

---

33 عباس محمود العقاد ، عبقرية محمد (بيروت : المكتبة العصرية ، د. ت) ص ٢١

34 المرجع السابق ، ٢٠ - ٢١

ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل ، سلامة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول ، وصحة معان ، وقلة تكلف ، أوتي جوامع الكلم وخص ببديع الحكم وعلم ألسنة العرب ، فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، ويباريها في منزع بلاغتها ، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسيره . [٣٥]

أن فصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر معترف به عند العرب منذ فجر صباه ، وهو يعلم ذلك في نفسه ، مثلما يعلمه الآخرون. إن فصاحة لسانه ونقاء بيانه أمران مقرران عند الخاصة فضلا عن الجمهرة ، وقد قال له أصحاب ه: ما رأينا الذي هو افصح منك فقال صلى الله عليه وسلم :وما يمنعني وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين . [٣٦]

ولأول مرة تقرن صفة البلاغة بصفة الفصاحة ، وذلك في بعض ما وصف به أبو الحسن الماوردي كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث يقول : " أن كلامه جامع لشروط البلاغة ومعرب عن منهج الفصاحة ، ولو مزج بغيره ليتميز بإسلوبه ، ولظهر فيه آثار التنافر ، فلم يلتبس حقه من باطله ، ولبان صدقه من كذبه هذا ولم يكن متعاطيا للبلاغة ولا مخالطا لأهلها من خطباء أو شعراء أو فصحاء ، وإنما هو من غرائز فطرته ، وبداية جبلته ، وما ذاك إلا لغاية تراد وحادثة تشاد " . [٣٧]

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الفصاحة ، ومجمع البلاغة ، وذروة البيان . إنه صلى الله عليه وسلم القائل : " أنا أفصح من نطق الضاد " وتحفل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بنماذج بيانية في المثل أو التمثيل أو المماثلة ، وما من حديث منها إلا وهو قمة الإعجاز الأسلوبي

---

35 الشفا للقاضي عياض ٤٧/١ من : مصطفى الشكعة ، البيان المحمدي ، ط١(القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٥) ص ٥٥

36 المرجع السابق ، ص٥٦

37 مصطفى الشكعة ، البيان المحمدي ، ط١(القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٥) ص ٥٨

البشري ، مستهدفا الهداية والتربية وسـداد السلوك وحسن الخلق وكمال الدين.[٣٨]

لقد منح الله سبحانه وتعالى – رسوله جوامع الكلم ، فجرت أساليب البلاغة في كلامه ، وتفجرت عيون البيان خصبة في قوله ، سواء أكان القول إيجازا أم إطنابا ، وعلى أي نهج جاء الكمال إطاره ، والجلال محتواه [٣٩] .

ويتضح مما سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع ضوابط لكلام وخطب خبير العلاقات العامة تتجسد فيما يلي : [40]

- سرعة أداء الكلام ، ولا يقصد بالسرعة في تواتر الكلمات ، وإنما سرعة الإجابة والبداهة .
- التفصيل المبين ، فلا يخلط الكلمات مع بعضها ، وإنما يفصل كل كلمة بعضها عن البعض الآخر .
- الكلام بهدوء بحيث يستطيع السامع أن يعيده .
- غير متقطع الكلمات .
- تتخلل الكلام فترات سكوت . وهي فترات التأمل للمتكلم وللمستمع.
- إعادة الكلمات المهمة ثلاثا لكي يحفظها المستمع .

وأما عن **بلاغته عليه الصلاة والسلام** ، **فلم تتوافر** في إنسان مثلما توافرت في النبي صلى الله عليه وسلم فقد جمع بين الفصاحة والبلاغة والبيان في الكلام والحديث والمنطق والحركات والسكنات . وقد شاكل لفظه معناه وأعرب عن فحواه ، قوي في مبناه ، عميق في دلالته ، كان خليقا بحسن الموقع ، وبانتفاع المستمع ، سليما من الفضول ، بريئا من التعقيد ، محبب إلى النفوس ، واتصل بالأذهان ، والتحم بالعقول ، وجذب الأحاسيس

---

38 الطراز : لأمير المؤمنين الإمام يحيى بن حمزة ٣٣/١ في مصطفى الشكعة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٣٩

39 المرجع السابق ، ص ٧٢٢

40 سهيل حسين الفتلاوي ، مرجع سبق ذكره ، ص٨٧

والعواطف ، وهشت إليه الأسماع ، واشرأبت إليه الأعناق ، وارتاحت له الأبدان ، وتركزت عليه الأنظار ، واطمأنت إليه القلوب ، فلا تزال الأفئدة به معمورة ، و الصدور مأهولة ، والعقول مبهورة . يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " أعطيت (أو بعثت ب) جوامع الكلم " [41] ، ومعناها أنه كان يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " أدبني ربي فأحسن تأديبي " [42] . ويقول على بن أبي طالب كرم الله وجهه في الرسول صلى الله عليه وسلم : سراج لمع ضوءه ، وشهاب سطع نوره ، سيرته القصد ، وسنته الرشد و كلامه الفصل ، وحكمه العدل " [43] وكلامه بيان وصمته لسان [44] ، وهو ينابيع الحكمة ، ومصابيح الظلمة ".[45]

وكان صلى الله عليه وسلم ، عارفا بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين له ، فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة فيقصر عن بلوغ الإرادة ، ولا يستعمل الإطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز مقدار الحاجة ، إلى الإضجار والملالة . فكان على الإيجاز قادرا ، وعلى الإطالة ماهرا ، فجاء حديثه على غايته الاقتصار والاختصار .[46]

وكذلك كلمة " اللهم هل بلغت " هذه اللازمة التي رددها النبي في

---

41 المزيد من التفاصيل في : صحيح البخاري ٤٧/٩ (كتاب التعبير – باب المفاتيح في اليد) . والجامع الصحيح للإمام مسلم ٦٤/٢ (كتاب المساجد) ، وفيه : _ بعثت بجوامع الكلم) . وتكملة الحديد : " بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي " . ، وفتح الباري ٢١٠/١٣ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة) .باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم و٣٣٧/١٢ (كتاب التعبير – باب المفاتيح في اليد) ، وتاريخ دمشق – السيرة النبوية ٥٤/٢ .

42 فيض القدير ٢٢٤/١

43 المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة ، ص٣٧ ، خطبة رقم ٩٤ .

44 المصدر السابق ، المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة ، ص٣٧ ، خطبة رقم ٩٦ .

45 المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة ، ص ٤٠، خطبة رقم ١٠٨ .

46 صالح مناع ، خطبة الرسول في حجة الوداع : تخريج ودراسة وإعراب وتحليل وترجمة إلى الإنجليزية ، وخطب أخرى للرسول صلى الله عليه وسلم ، ط٢ ، (بيروت: دار الفكر العربي ، ٢٠٠١) ص١٢١١

أطول خطبه الأخيرة ، وهي خطبة الوداع .. " . وهي لازمة عظيمة الدلالة في مقامها ، لأنها لخصت حياة كاملة في ألفاظ معدودات ، فما كان حياة النبي كلها بعملها وقولها وحركتها وسكونها إلا حياة تبليغ وبلاغ ، وما كان لها من فاصلة خاتمة أبلغ من قوله عليه السلام وهو يجود بنفسه : " جلال ربي الرفيع فقد بلغت " .

ب. نسب محمد صلى الله عليه وسلم العريق :

أن خبير العلاقات العامة لابد أن ينتمي لمنظمته أو دولته أو أمته ، فهو امتداد للمجتمع الذي ينتمي إليه ، ويعبر عن أخلاقه وقيمه ، ومرآة تعكس أماني الأمة وأصالتها ، فلا يصدق من ينتمي إلى منظمة أو دولة أو أمة وهو يعبر أو يمثل منظمة أو دولة أخرى أو أمة أخرى .

وينتمي النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى صفة الصفوات وأعرق الأصول ، وهو يتفاخر بأصوله وانتمائه إلى شجرة طيبة لها امتدادها السياسي والأخلاقي والإنساني . فقد قال عن أصوله متفاخرا : " أن الله اصطفى عدنان من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم " . وقوله صلى الله عليه وسلم اختار الله خلقه فاختار منهم بني آدم فاختار منهم العرب ، ثم اختارني من العرب فلم أزل خيارا من خيار ، إلا من احب العرب فبحبي احبهم ، ومن ابغض العرب فببغضي أبغضهم . [٤٧]

لقد كان لنسب النبي صلى الله عليه وسلم الدور الكبير في نشر الرسالة الإسلامية .فقد ساهم هذا النسب في تكوين شخصيته الإنسانية ، وفي تعزيز ثقة الناس فيه ، وتمتعه بالحماية في وسط قومه مما جعله المثل الكامل في العلاقات العامة .

ت. أخلاق محمد الحميدة :

أن خبير العلاقات العامة هو ممثل منظمته أو دولته أو أمته ، وهو

---

47 سهيل حسين الفتلاوي ، مرجع سابق ، ص ٩٣

صورة حية لصفات قومه والمعبر عن أفكارهم وثقافتهم وأخلاقهم . ومن اجل أن يؤثر في الوسط الذي يعمل فيه ، فإن عليه أن يتحلى بالصفات الحميدة والأخلاق القويمة وان يتصف بالصدق والصراحة والأمانة وسلامة التصرف وحسن المخبر. وعليه أن يبتعد عن كل ما هو سئ أو يمس سمعته أو شخصه . لأن ما يقوم به من تصرفات لا تنسب إليه إنما تنسب إلى مرسله وهي منظمته أو دولته أو أمته .

ومفهوم الأخلاق عند النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليست في مواجهة الله والناس فحسب ، بل أنها سلوك آنساني ينعكس على تصرفات وعواطف الشخص الخاص به ، في سروه وغضبه ومشيه وجميع التصرفات الخاصة به . فكان النبي محمد صلى الله عليه وسلك لم يخف عاطفته وانفعاله، فإذا كره شيئا ظهر في وجهه . وكان يعجب ويضحك مما يضحك الناس ويتعجب من مثله ويستغرب وقوعه أو يستندر .وكانت طبيعته الهادئة لا تسمح له بالصخب ولا القهقه ، بل كان معظم ضحكه ابتسامه تظهر نواجذه . وإذا مشى كان يتوكأ والاتكاء عند العرب بمعنى السعي الشديد . ومن أخلاقه أن يقرأ نفوس المستمعين له ومدى تفاعلهم معه . فقد كان يبتعد عن الهذر من الكلام ويقصر الخطبة لئلا يملل سامعيه فقد روي عنه : " كان يذكر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ، ويقصر الخطبة ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجته " [٤٨]

ويذكر القاضي فضل الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في خلقه ، فيشير إلى كمال خلقته ، وجمال صورته ، وقوة عقله ، وصحة فهمة وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه ، واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه . [٤٩]

---

48 المرجع السابق ، ٩٣

49 مصطفى الشكعة ، مرجع سبق ذكره ، ص٤٩

ومن أخلاق النبي محمد صلى الله عليه وسلم أيضا ما يلي :

ث. مثال الإنسانية الكاملة : محمد صلى الله عليه وسلم وحده نبع صافي ، وري شافي ، وهدي كافي ، وسيرته العطرة لا ينضب معينها ، ولا يجف مدادها ، لأنها متلاحمة مع كلمات الله : " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ". [٥٠] . محمد هو مثال الإنسانية الكاملة ، وملتقى الأخلاق الفاضلة ، وحامل لواء الدعوة العالمية الشاملة ، والمثل الكامل للعلاقات العامة .

ج. قوة الإيمان والغيرة : كان محمدا مستكملا للصفات التي لا غنى عنها في إنجاح رسالة عظيمة من رسالات التاريخ . فكانت له فصاحة اللسان واللغة . وكانت له القدرة على تأليف القلوب وجمع الثقة . وكانت له قوة الإيمان بدعوته وغيرته البالغة على نجاحها . وهذه صفات للرسول مكنته في ظل الأحوال آنذاك من تبليغ الدعوة . [٥١] ومن أن يصبح المثل الكامل في العلاقات العامة .

ح. معجزة أخلاقه وشمائله : ومن الدلائل المعنوية أخلاقه عليه السلام الطاهرة ، وخلقه الكامل ، وشجاعته وحلمه وكرمه وزهده وقناعته ، وإيثاره وجميل صحبته ، وصدقه وأمانته وتقواه وعبادته وكرم اصله . وطيب مولده ومنشؤه ومرباه مبسوطا في مواضعه . وما احسن ما ذكره العلامة أبو العباس بن تيميه رحمة الله في كتابه رد فيها على فرق النصارى واليهود وما أشبههم من أهل الكتاب وغيرهم : وسيرة الرسول وأخلاقه وأقواله وأفعاله من آياته ، أي من دلائل نبوته . قال وشريعته من آياته ، وأمته من آياته وعلاماته من آياته ، ودينهم من آياته وكرامات صالحي أمته من آياته ، وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد إلى أن بعث ومن حين بعث إلى أن مات وتدبر نسبه واصله وفصله . [٥٢]

---

50 عباس محمود العقاد ، مرجع سبق ذكره ، ص المقدمة

51 المرجع السابق ، ص ٢٠

52 ابن كثير ، معجزات النبي صلى الله عليه وسلم (القاهرة : مكتبات الأهرام وسائر مكتبات الجامعي ، ١٩٩٦) ص١٣٣

خ. التعبد والتفكير : محمد بن عبدالله كان عابدا ومفكرا وقائلا بليغا وعاملا بغير الدنيا بعمله ، ولكنه عليه السلام كان عابدا قبل كل شئ . ومن أجل العبادة قبل كل شئ كان تفكيره وقوله وعمله ، وكل سجية (طبيعة) فيه ، تهيأ للعبادة بميراثه ونشأته وتكوينه ، فولد في بيت السدانة والتقوى ، وتقدمه آباء يؤمنون ويوفون بإيمانهم ، ويعتقدون ويخلصون فيما اعتقدوه "[٥٣]

د. آدابه الإجتماعية: وللخطابة آداب اصطلح الدارسون على دعوتها بالآداب الخطابية كسداد الرأي ، وصدق اللهجة ، وخدمة الحقيقة التي يؤمن بها ، والإخلاص للمبادئ الخلقية السامية .[٥٤]

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر الناس أدبا في الحوار والسلوك ، أشدهم حياء وأوفرهم مجاملة للآخرين ، كان هذا سلوكه مع الناس جميعا حتى مع مشركي قريش إذا حادثهم في غير شئون الدعوة كانت وفرة أدبه ، ودقة مجاملته من الأمور التي عرفها عامة الناس وخاصتهم على حد سواء [٥٥]

ومن أخلاقه عليه السلام مع أصحابه مقابلة الإساءة بالإحسان والوفاء بالوعد ، ومودته لأصحابه وسؤاله عنهم ، وممازحة أصحابه ومداعبتهم ، ومشاركتهم في إعداد الطعام ، ويقدمهم على نفسه ويشرب آخرهم ، حسن الموعظة ، يجيب من دعاه ، رحيم بالصغار وعطوف عليهم . فضلا عن أخلاقياته مع الضعاف والخدم ومعاملته للرقيق .[٥٦] ومن أخلاقه مع أعدائه الصبر عليهم وإحسانه إليهم ، وعفوه عن مسيئهم ، وكان عليه السلام لا يدعو عليهم .[٥٧]

---

53 عباس العقاد ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٦ .
54 محمد إبراهيم محمد إبراهيم ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٦
55 مصطفى الشكعة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٣
56 شعبان محمد إسماعيل ، من خصائص الرسول وشمائله ، ط١(المدينة المنورة : كلية التربية ، ١٩٨٠) ص ٧١ -٧٨
57 المرجع السابق ، ص ١٠٠ -١١٠

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت : " كان خلقه القرآن " ومعنى هذا أنه صلى الله عليه وسلم قد ألزم نفسه ألا يفعل إلا ما أمره به القرآن ، ولا يترك إلا ما نهاه عنه القرآن ، فصار امتثال أمر ربه خلقا له وسجية صلوات الله وسلامة عليه إلى يوم الدين . [٥٨]

ذ. **الصدق والأمانة والثقة** : كانت له مع الفصاحة صباحة ودماثة ، تحببانه إلى كل من رآه . وتجمعان إليه قلوب من عاشروه ، وهي صفة لم يختلف فيها صديق ولا عدو ، ولم ينقل عن أحد من أقطاب الدنيا أنه بلغ بهذه الصفة مثل ما بلغه محمد بين الضعفاء والأقوياء على السواء . لقد كان محمدا جامعا للمحبة والثقة كأفضل ما تجتمعان ، وكان مشهورا بصدقه وأمانته اشتهاره بوسامته وحنانه . وشهد له بالصدق والأمانة أعداؤه . وقد أحب عليه الصلاة والسلام أن يستعين بها على هدايتهم وترغيبهم في دعوته فكان يسألهم : " أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونني؟ فيقولون " نعم أنت عندنا غير متهم . إلا أن الإنسان ينفر مما يصدمه في مألوفاته وموروثاته ، ولو صدقه وقام ألف برهان عليه ، فلم يكن ما بالقوم انهم لا يصدقون محمدا ولا يعلمون فيه الشرف والأمانة ، وإنما كان بهم انهم ينفرون من التصديق كما ينفر المرء من خير صادق يسوؤه فيمن يحب أو فيما يحب ، وهو مفتوح العينين ناظر إلى صدق ما يلقى إليه . [٥٩]

ز. **عبقريته الإدارية ، وارتباطها بملكاته الشخصية :**

وقد كانت هذه السليقة في محمد صلى الله عليه وسلم على أتم ما تكون. كان يوصي بالرياسة حيثما وجد العمل الاجتماعي الذي يحتاج إلى تدبير . ومن حديثه المأثور : " إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم " . ومن أعماله المأثورة : " أنه كان يرسل الجيش وعليه أمير وخليفة للأمير

---

58 أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، الفصول في سيرة الرسول ، ط١ (الكويت : غراس للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣)

59 عباس العقاد ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢ – ٢٣

وخليفة للخليفة إذا أصيب من تقدمه بما يقعده عن القيادة . وكان قوام الرئاسة والإمامة عنده شرطان هما جماع الشروط في كل رئاسة ، وهما الكفاءة والحب : " أيما رجل استعمل رجلا على عشرة أنفس ، وعلم أن في العشرة أفضل ممن استعمل فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين " . و" أيما رجل أم قوما وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنيه " .[٦٠]

ر. كياسة محمد صلى الله عليه وسلم :

من ابرز صفات الرسول صلى الله عليه وسلم والتي يجب أن يقتدي بها خبير العلاقات العامة هي الأخلاق الفاضلة وأن يكون وديعا ودودا ، معاشرا ، محبا للناس متعففا كريما متحليا بالحياء بعيدا عن التملق ، صادقا مسالما غني النفس ، يعامل الناس بلطف وبحسب مواقعهم ومراتبهم ، يجد أساليب التعارف والتقرب من الناس رفيقا بنفسه أهله و، ودودا عند السفر صبورا مؤدبا عند الإثارة كاظما للغيظ جلدا في المهمات ، عافيا عند الظفر ، متواضعا عند علو منصبه مبتسما عند الفرح والكرب ثابت الشخصية في المسرات والنكبات .

وتعد أخلاق النبي محمد صلى الله عليه وسلم الرمز الفريد لشخصية خبير العلاقات العامة التي يتطابق فيها الجوهر مع المظهر . وهي في المرتبة العليا لأخلاق البشر لأسباب متعددة منها كونه نبيا مبعوثا اختاره الله عز وجل وتولى تربيته وللبيئة التي نشأ بها ، فهو الأسوة الحسنة والنموذج المشع للإنسانية ومنارا يقتدى به كل من يسعى بإخلاص إلى خدمة وطنه وأمته .

٤. هديه صلى الله عليه وسلم في خطبه [٦١]

لقد كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس وأبينهم حجة وأبلغهم عبارة، وأملكهم لزمام الكلمة ، ولقد أوتي – عليه الصلاة والسلام – جوامع الكلم ، وأمره ربه عز وجل – أن يبين للناس ما نزل إليهم ، ولهذا فهو إمام

---

60 المرجع السابق ، ص ٦٦ – ٦٧

61 التفاصيل في : عبد الرب بن نواب الدين ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧ – ٥٠

الفصحاء وقدوة البلغاء ، وعلى هذا فهديه صلى الله عليه وسلم أكمل هدي في خطبه وبيانه، وفي شؤونه كلها ، ذلك أنه عليه الصلاة والسلام من قبل الله مسدد وبوحي الله مؤيد،"وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى".[٦٢]

وأبرز ما يمكن إيراده من معالم هديه صلى الله عليه وسلم في خطبه ما يلي :

أ. من حيث الموضوع :

لقد كانت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم للناس كافة ، وكانت شاملة لكل جوانب الحياة ، وهذا ما يتسق مع كونها خاتمة الرسالات السماوية . فالعمومية في الخطاب والشمولية في المنهج والمضمون جعلت الخطابة النبوية شاملة في موضوعاتها مشتملة على كل طرائق الخطاب والبلاغ . على أن المحور العام للخطابة النبوية هو التبصير بأمور الدين. قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : "... وكان مدار خطبه علية السلام على حمد الله والثناء عليه بآلائه وأوصافه كماله ومحامده ، وتعليم قواعد الإسلام ، وذكر الجنة والنار والمعاد ، و الأمر بتقوى الله وتبيين موارد غضبه ، ومواقع رضاه ، فعلى هذا كان مدار خطبه صلى الله عليه وسلم .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعتني بموضوع الخطب بحيث تكون علاجا لمشاكل المجتمع الإسلامي وقد قال الإمام إبن القيم : " أنه من يتأمل خطب النبي صلى الله عليه وسلم وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدي والتوحيد وذكر صفات الرب جل جلاله ، وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه ، وأيامه التي تخوفهم من بأسه والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه . فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم إليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم "[٦٣] .

---

62 سورة النجم ، الآية ٣-٤

63صالح بن فوزان بن عبدالله آل فوزان ، الخطب المنبرية في المناسبات العصرية ، ط١٠ (بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣) ص٦

يقول المنتمي إلى حضرة الحبيب ، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم محمد ابن الشيخ خليل ابن الشيخ محمد الخطيب : " لم يسمع الناس بعد القرآن بكلام قط أعم نفعا ، ولا أصدق لفظا ، ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أفصح عن معناه . ولا أبين عن فحواه من كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه الكلام الذي قلت حروفه ، وكثر معناه ، وجل عن الصنعة ، وتنزه عن التكلف ، ولم ينطق عن الهوى " أن هو إلا وحي يوحى " .[٦٤].

ويمكن إيراد نماذج لمقاصد الخطابة النبوية المتنوعة بتنوع الأحداث والنوازل ، فمن ذلك : [٦٥]

١. بيان حكم الشرع .
٢. إيضاح الحكمة والغاية من التشريع .
٣. ومن ذلك تصحيح مفهوم خاطئ
٤. ومن ذلك استكشاف حال الناس ومعرفة وجهتهم .
٥. ومن ذلك إزالة شبهة عالقة بأذهان الناس .
٦. ومن خطب النبي صلى الله عليه وسلم تلك الخطب الجامعة وهي مليئة بالأحكام والحكم ، وهي الأغلب الأكثر من خطبه صلى الله عليه وسلم .

---

64 محمد خليل الخطيب ، خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ، إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، ٥٧٤ خطبة من كنوز الدرر وجوامع الكلم (القاهرة : دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، ١٣٧٣ هـ) ص٥

65 التفاصيل في : سنن أبى داو ود ٦٥٩/١ الصلاة و البخاري ٢ / ٢٣٠٢/٨٥٨ القصة والبخاري: ٨٨١/٣١٢/١ ، الجمعة ومتفق عليه ، والبخاري ٩٩٧/٣٥٤/١ الكسوف ، ومسلم ٩٠١/٦١٨/٢ الكسوف و البخاري : ٢١٨٤/٨١٠/٢ الوكالة وصحيح البخاري ٤٠٨٢/١٥٧٧/٤ المغازي وفي عبد الرب بن نواب الدين ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٣ -٣٥ وسيرة ابن هاشم ، ٥٠١/١ وسيرة ابن كثير ٣٠١/٢ والبخاري : ٦١٦١/٢٣٩١/٥ الرفاق .

٧. ومن خطبه عليه السلام ما تجلت فيه الموعظة أكثر من الأحكام .

٨. ومن ذلك الإخبار عن الغيب .

على انه من المعالم البارزة للخطب النبوية فضلا عن كونها من وحي الله تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم تضمنها لكثير من نصوص القرآن الكريم ، ولكثير من المعاني والمقاصد الإيمانية التي نزل بها كتاب الله . ويمكن القول أن الخطابة النبوية تدور في محورها العام حول القرآن العظيم بيانا لمعانيه ، ودعوة إلى الإيمان وتصحيحا للمفاهيم الخاطئة حوله.

ب. من حيث الأسلوب الخطابي :

لا جرم أن أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم – يعلو كل الخصائص والأساليب الخطابية ويفوقها ، وسواء من حيث التركيب اللغوي وجزالته المتوخي للبلاغة والفصاحة وجودة السبك ، أو من حيث طريقة الأداء واللقاء ومراعاة الوقفات والسكتات ومقاطع الجمل .. إلى غير ذلك مما يدخل في فنون الخطابة أو من الإيجاز والإطناب ودواعيهما المختلفة المتجددة ، أو من حيث عمق التأثير والإقناع . ولقد جاء وحي الله تباركت أسماؤه برفع الخطابة النبوية إلى أعلى درجات الفصاحة والبيان . إذ قال عليه السلام : " بعثت بجوامع الكلم " [٦٦] . وهذا يشمل القرآن والسنة لأن كلا منها فيها المعاني الكثيرة بألفاظ القليلة .

وفيما يلي نبرز جوانب الأسلوب النبوي الشريف في الخطابة :

- **من حيث الفصاحة وقوة البيان**

كانت خطبه صلى الله عليه وسلم في مقام لا يدانى من قوة السبك ، وجزالة المعنى والمبنى ، ولا غرو ، فهوأفصح العرب ، وأعلمهم بدقائق اللغة ، وأسرارها ، وتراكيبها ، ومدلولاتها ، ولقد أمره الله –عز وجل – بالبلاغ المبين فقال : ﴿ **وما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾[٦٧] .

---

66 متفق عليه : البخاري ٦/٢٦٥٤ /٦٨٤٥ الاعتصام ، ومسلم ١/٣٧١/٥٢٣ المساجد

67 سورة النور : الآية ٥٤

- **من حيث الأداء والإلقاء :**

كان كلامه صلى الله عليه وسلم سهلا مستساغا مستعذبا ، لا تمله الآذان ولا تستثقله الأفهام ، تقول السيدة عائشة رضوان الله عليها : " كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم – كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه " [٦٨]

وكان صلى الله عليه وسلم على المنهج الوسط في الإلقاء لا يستعجل ولا يبطئ . روى أنس رضي الله عنه قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه " . [٦٩] . وتشير السيدة عائشة رضي الله عنها – إلى منهج التوسط في التلفظ الذي هو بين الإبطاء والاستعجال ، فتقول : " إنما كان النبي صلى الله عليه وسلم – يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه " . [٧٠]

وعلى هذا فكانت خطبه صلى الله عليه وسلم تتبوأ القمة من حيث مخارج الحروف ومن جهة انتقاء الألفاظ السهلة المعبرة ، ومن حيث التوسط في التلفظ دون إسراع ولا إبطاء ، وكذلك في مراعاة المقاطع والسكتات والفواصل كقوله صلى الله عليه وسلم في جل خطبه العبارة الخطابية " أما بعد " . ففي الصحيح عن أبي حميد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عشية بعد الصلاة ، فتشهد ، وأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : " أما بعد " . [٧١] وقوله عبارة الاستلطاف وشد الانتباه " أيها الناس " كما في خطبة الوداع . وتنوع الأسلوب الخطابي بين الخبر والإنشاء على إختلاف ضروبهما وتنوع مقاصدهما ، وغير ذلك من خصائص الأسلوب الخطابي : كالإطناب ، وإثارة الشعور وحلاوة الجرس ... إلى آخره .

---

68 سنن أبي داود ٤/١٧٢/٤٨٣٩ الأدب

69 سنن أبي داود ٤/٦٤/٣٦٥٣ العلم

70 صحيح مسلم ٤/٨٨٩٢٢ / ٢٤٩٣ الزهد والرقائق وأبو داود ٤/٦٤/٣٦٥٤ العلم .

71 صحيح البخاري ١/٣١٣/٨٨٣ الجمعة

- **من حيث الإطناب والإيجاز :**

كان صلى الله عليه وسلم يراعي حاجات الناس النفسية والاجتماعية، وأحوالهم ، فتارة يطيل وطورا يقصر حسبما يقتضيه الحال ، وتمليه الحاجة. عن جابر بن سمرة – رضي الله عنه – قال " كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم – قصدا وخطبته قصدا ، يقرأ آيات القرآن ويذكر الناس " ويقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : " كان النبي صلى الله عليه وسلم – يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا " [٧٢] . وفي حديث جابر بن سمرة : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطيل الموعظة يوم الجمعة ، إنما هن كلمات يسيرات " . [٧٣] . ويذكر الإمام ابن القيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " وكان يقصر خطبته أحيانا ويطيلها أحيانا بحسب حاجة الناس ، وكانت خطبته العارضة أطول من خطبته الراتبة ، وكان يخطب النساء على حدة في الأعياد ويحرضهن على الصدقة [٧٤]. وهذا هو أعدل الأحوال وأوسط المناهج .

- **من حيث عمق التأثير وقوة الإقناع :**

كان صلى الله عليه وسلم – في إسلوبه الخطابي لا يداني ولا يجارى ، فكل من استمع إليه أذعن ، وألف بعدئذ أو خالف ، ولئن كان التأثير من بواعثه الصدق . كما أن من بواعث الإقناع قوة الحجة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم فوق صدقه ، وقوة برهانه مسدد بالوحي الإلهي ومؤيد بروح القدس . ولئن انضم مع الصدق ، وقوة البرهان ، وسداد العارضة القول الفصل الذي ليس بالهزل ارتقى الأسلوب الخطابي إلى أعلى قمم الإقناع والجد .

لذا كان صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ،

---

72 صحيح البخاري ٦٨/٣٨/١ العلم

73 سنن أبى داود ١١٠٧/٦٦٣/١ الصلاة

74 زاد المعاد ١٩١/١

واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ، ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين . ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى . ويقول : أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة " [٧٥]

75 التفاصيل انظر : صحيح مسلم ٨٦٧/٥٩٢/١ الجمعة ، النسائي ١٥٧/١٨٨/٣ العيدين وابن ماجه ٤٥/١٧/١ المقدمة . و جامع الأصول ٦٨٠/٥ لابن الأثير .

القسم الثالث

خطبة الوداع نموذجا[76]

ا. . تعريفها :

أنها مجموعة المواعظ والوصايا والإرشادات والتشريعات التي أشار إليها ألقاها الرسول صلى الله عليه وسلم يوم عرفة بنمرة في حجة الوداع وهي الحجة الوحيدة التي أداها الرسول عليه السلام في السنة العاشرة من الهجرة .[٧٧]

ب. أهمية حجة وخطبة الوداع : [٧٨]

لم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم ركنا من أركان الإسلام – قبل حجة الوداع – إلا رسخ لأسسه ، وثبت قواعده وبين أحكامه ، ووضح أصوله ، وفك رموزه ، وجلا غموضه ، وأضاء جوانبه ، وساق الحجج ، والبراهين والأدلة للمسلمين ، حيث غدت الأركان واضحة جلية تمارس وتطبق كما بينها رسول الله صلى الله عله وسلم . إلا أن ركن الحج لم يكن قد ظهرت طرائقه ، واتضحت مناسكه ، وبينت أحكامه ، فكانت تلك الحجة بيانا عمليا قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : " خذوا عني مناسككم " وبتمام ذلك تم الدين ، فنزل قوله تعالى على الرسول صلى الله عليه وسلم يوم عرفه : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم أتممت عليكم نعمتي ورضيت بكم**

---

76 راجع لمزيد من التفاصيل : أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، الفصول في سيرة الرسول ، ط١ (الكويت : غراس للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣) ٢٥٤ -٢٥٨ و محمود المصري (جمع وترتيب) ، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ط١ (القاهرة : دار التقوى ، ٢٠٠٢) ٦٦١ -٦٧٢ عبدالله سنده ، خطب ومواعظ الرسول صلى اله عليه وسلم ، ط١(بيروت : دار المعرفة ، ٢٠٠٥) ص١٥٣ – ١٥٦ و نافذ حسين عماد ، تيسير الاطلاع على أخبار حجة الوداع ، ط١ (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٤) ص٥ و سورة الحج ، آية (٢١)

77 نافذ حسين عماد ، مرجع سبق ذكره ، ص٥

78 التفاصيل في : هاشم صالح مناع ، مرجع سبق ذكره ص٥١

الإسلام دينا ﴾ . [٧٩]

إذن حجة الوداع كانت ممارسة تطبيقية ميدانية [٨٠] قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يأتمون ، وكانت خاتمة لأركان الإسلام .

ت. دواعي الخطبة :

وقد أدرك الرسول الأكرم أن أمانة التبليغ قد تمت ، والأحكام الشرعية قد اكتملت ، فلا خوف على اندثار الإسلام ، ولا خشية على زواله من هذه الربوع . كما أدرك أنه قد أوشك أن يأتيه داعي ربه فيلبيه تحقيقا لقوله تعالى: ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفئن مت فهم الخالدون**﴾ [81]

فخاف عليه السلام على هذه القوة الهائلة أن تتبدد ، وعلى هذه الأمة أن ترتد إلى أوحال الجاهلية فتتناحر كما كانت بالأمس القريب ، فتوجه إليها بخطبة الوداع و محضها النصح وهو الرؤوف الرحيم ، وبين للأمة أسس بقائها ، وجراثيم فنائها فأمرها بالخير ، وحذرها من الشر ، وسمى هذا اللقاء لقاء الوداع لأنه كان الأخير بين الأمة ونبيها ، و سموا هذه الخطبة (الوصية النبوية) . يقول حبر الأمة ، وترجمان القرآن عبدالله بن عباس : " فوالذي نفسي بيده ، إنها لوصيته إلى أمته ، فليبلغ الشاهد الغائب " [٨٢]

ث. . الوصية النبوية (خطبة الوداع) كنموذج للعلاقات العامة :

التوطئة :

استفتاح النبي خطبته :

استفتح النبي صلى الله عليه وسلم خطبته الكريمة بما عهد منه في هذا الشأن ، وما هو مخالف لعادة الجاهلية بالكلية ، إذ كان عليه الصلاة والسلام، يبدأ شؤونه وأموره وخطبه ، بحمد الله واستغفاره ، والاستعانة به والتماس

79سورة المائدة : ٣

80 هاشم صالح مناع ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٢ .

81 سورة الانبياء ، الآية : ٣٤

82 أخرجه البخاري ، انظر الصحيح ٥٧٣/٣

الهداية منه .

وفي هذا الاستفتاح [٨٣]رد الفضل إلى صاحبه ، ونسبة النعمة إلى منعمها ، وتبيان لموقع الإنسان في هذا الكون ، وإنه بحاجة إلى هداية البارئ ومعونته . وفي هذا الاستفتاح تعليم من الصادق المصدوق للناس ، كي لا يستشعر الخطيب أنه أعلى من المخاطبين ، فيبطر بهذه النعمة والمواهب والملكات التي وهبها الله سبحانه وتعالى له .

ج .الموضوعات التي تضمنتها الخطبة :

أكد التحليل أن خطبة الوداع تتضمن الموضوعات التالية :

• انتهاء الجاهلية وحرمة الدماء : حيث أن هذه الخطبة إعلان واسع المدى بنهاية الجاهلية في الجزيرة في أخص تأثيراتها ومظاهرها وذلك في شعبها التالية : الدماء والأموال والسلوك والشعائر .

لقد جاء لتنظيم الحياة ، ولذا لم يدع للفوضى أوكارا في قلوب الناس أو في نفوسهم ، وأن الاستخفاف بالدماء والأرواح حالة تتكرر حين ينحط مستوى الأمم السلمي والفكري. وأن القيام بأخذ الحق لأصحابه فرض على ولي الأمر ، وإن عجز عن أخذه فليس خليقا أن يكون وليا للأمر أو سائسا للأمة . [٨٤]

• كل نفس بما كسبت رهينة : وقد أكد الرسول على ذلك بقوله : " ألا يجني جان إلا على نفسه ، ولا يجني والد على ولده ، ولا مولود على ولده". كما جاء في الكتاب العزيز ﴿ **ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فإنه يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾[٨٥]. إذن تحديد المسئولية أساس من أسس الاستقرار والطمأنينية.

---

83 فاروق حمادة ، الوصية النبوية للأمة الإسلامية في حجة الوداع ، ط٢ (بيروت : دار إحياء العلوم ، ١٩٩٢) ص٥١

84 المرجع السابق ، ٥٦

85 سورة الإسراء ، الآية : ١٥

ويتناول الرسول صلى الله عله وسلم موضوع الدماء فيقول : " وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته ليث ، فهو أول ما أبدأ به دماء الجاهلية " . فلاشك إذن أن الرسول عليه السلام أكد بما لا يدع مجالا للشك حرمة الأموال ، وأنه لا يجني جان إلا على نفسه ، وحدد بذلك المسئولية ، وساوى بين الناس .

•تحريم الربا: لقد جاء التحريم قبل يوم عرفه بمدة ليست بالقصيرة ، حيث أعلن تحريمه الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الفتح الأعظم ، وكانت قريش وثقيف مركزين هامين من مراكز الربا في جزيرة العرب . لهذاأكدالرسول صلى الله عليه وسلم تأكيد حرمة الربا ليعلم الناس أن أمور المال ، والحياة المالية عصب الحياة الاجتماعية ، وعليه يجب أن تكون بمنجاة من الاستغلال والتحكم بالضعفاء ، ولابد أن تتطلق المعاملات الاجتماعية في اتجاهها صحيح .

كما أعلن عليه السلام أن أول ربا يبطله هو ربا عمه العباس ، كما أبطل دم إبن عمه ابن ربيعه ابن الحارث ليكون ذلك أوقع في النفوس ، وأدعى لتلبية النداء ، وليكن الناس على معرفة بأنه عليه السلام أول المطبقين لأمر الله المتمسكين بعهده . ولقد قال عليه الصلاة والسلام عن المرابين " لعن الله آكل الربا ، وموكله ، وكاتبه وشاهديه " . [٨٦] إذن الرسول صلى الله عليه وسلم يحسم قضية الربا ويؤكد تحريمه استجابة للأوامر الربانية في آيات الربا فيقول : " أن كل ربا موضوع – أي لاغ ومهدر – ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضي الله أنه لا ربا " [٨٧]

الأمانات والحرم : وأعلن عليه الصلاة والسلام ، وجوب إرجاع

---

86 أخرجه المسلم في صحيحه ، واحمد وابن الجارود في المنتقى من حديث جابر ابن عبدالله .

87 مصطفى الشكعة ، مرجع سبق ذكره ، ص٣١٢

الأمانات إلى أهلها لتصفو النفوس كما قال تعالى :" وأحضرت الأنفس الشح"، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها " . وهذا التوجيه النبوي مستمد من التوجيه القرآني في قوله – عز وجل : " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها " فالأمانة فضلا عن كونها قيمة إسلامية ودينية كبرى ، فهي أيضا قيمة إنسانية عظمى ، ولهذا فأهل مكة لقبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالصادق الأمين .

واتبع حرمة الأموال والدماء حرمة الأعراض ، فقال : " وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم ... " . " وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يؤكد شدة تعلق ذلك المجتمع بالقدح في الأعراض والأنساب وإلصاق المعرة بالآباء والأحساب في قوله " ثلاث في أمتي من أمر الجاهلية، الطعن في الأحســاب ، والمنياحة على الميت ، والاستسقاء بالأنواء". [٨٨]

• العادات الجاهلية : وبعد أن أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ربا الجاهلية ودماءها ، أهدر آثارها واستثنى سدنة البيت وكانت لبني عبد الدار فأقرها فيهم ، وسقاية الحجيج وكانت لقريش فأقرها لهم .

• الإسلام ضامن الوحدة والقوة : إن أساس الوحدة الإسلامية هو القرآن الكريم وهذا الدين القويم ، وهذه منة الله على العالمين ، إذ قال في محكم تنزيله ﴿ **وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ، إنه عزيز حكيم** ﴾ [٨٩] .

وقد استنطقهم عليه السلام بالحجة عليهم إنه قد بلغهم هذا الأمر الخطير فقال لهم : " وإن تسألوا عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ، وينكبها

---

88 أخرجه احمد والبخاري ومسلم وغيره .

89 سورة الأنفال ، الآية : ٦٣

إلى الناس : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد " .

• العلاقة بين الفرد وجماعته الكبرى من الأمة : بما أن المؤمنين أخوة ، فكل منهم على صاحبة ما للأخ على أخيه من التآزر والتعاون والتحاب فلا بطش ولا ظلم ولا نهب للأموال ، ولا حرب ولا سفك للدماء ، وإنه لعهد من نقضه عاد كافرا آثما قلبه : " أيها الناس ، إنما المؤمنون أخوة، ولا يحل لامرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، إلا هل بلغت ؟ اللهم أشهد ".

• بداية التاريخ الصحيح : ثم بين لهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم استقرار الزمن وبداية التاريخ الصحيح ، حينما حرم الإسلام على العرب التحايل على شهور السنة بالنسئ – وهو التأخير . حيث كانوا يؤخرون أحد الأشهر عن ميعاده ، أو يحلون شهرا حراما ويحرمون شهرا غير الأشهر الحرم . ومع تحديد هذه الأشهر باثني عشر شهرا بالنص الذي لا يأتيه الباطن من بين يديه ولا من خلفه ، فإن المسلم يؤدي عبادته في جميع أيام العام .

• وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بالمرأة : ولأن المجتمع البشري بعامة والمجتمع الإسلامي بخاصة محوره الأسرة الصالحة ، فقد قرر صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع حقوق كل من الزوجة والزوج موصولة الأسباب بواجباتهم .

وقد تضمنت هذه الفقرة من خطبة الوداع من التوصية بالنساء ما لم يتضمنه قانون سماوي سابق ، ولا تشريع دنيوي لاحق من الإبانة والوضوح وجليل السبب وكريم التعليل : " واستوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن عندكم عوان –أي كالأسرى – لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله " . .. ذلك أن الله سبحانه وتعالى – قد استأمن الأزواج على نسائهم ، وهذا أمر واضح في وصية رسول الله بهن ، وأي أمانة أحرى بالعناية من أمانة الله ؟ .

•نهاية العبث بالأنساب : وأعلن لهم عليه الصلاة والسلام أن المرء مرتبط بأبويه ، ارتباطا لا انفصام معه ، تلزمه بموجبه مقتضيات لا خيار له معها ، وله حقوق لا تنازل عنها ، وليس له أن يتخلى عن والديه وينتسب إلى غير أهله لما في ذلك من إنكار فضلهما . وكذلك العبد ليس له أن يتولى غير مواليه رغبة عنهم ويلتصق بآخرين .

إن من يتأمل هذا الأمر النبوي الشريف الصارم يجد أنه يحافظ على سلامة الأنساب وطهارة الأعراض ، ويغرس في الناس الفضيلة العليا التي تقوم بالواجب ، وتؤدي الحقوق دون تهرب أو تملص .

•تنبيه السامعين إلى ما قرره القرآن في الميراث وأنصبته ، وأن للمورث أن يوصي بالثلث من ماله " أيها الناس :إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، فلا يجوز وصية لوارث في أكثر من الثلث "

•التعايش الاجتماعي : ثم بعد هذا يقرر عليه الصلاة والسلام أن من استعار شيئا فعليه أن يؤديه ، ولا ينكره على صاحبه طمعا فيه ، فإن ذلك مما يفسد الذمم والعلاقات الاجتماعية . ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم على سامعيه أن يجمعوا بين سماع القول والعمل به ، وفحوى ذلك أن المسلم أخو المسلم . وقد أكد المولى سبحانه ذلك في قوله – جل وعز : " إنما المؤمنون أخوة " وسنيا في قوله صلى الله عليه وسلم : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه " . وهذه الاخوة لكي تؤتي ثمارها " لا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه " . هي إذن اخوة مبرأة من كل إثم أو اعتداء أو انحراف . وأن الانصراف عن هذه الالتزامات يعد بمثابة إيقاع الظلم بالجماعة الإسلامية .

وبعد ذلك ينبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه إلى الأرقاء والمماليك ، وبين لهم حقوقهم ، حتى لا تزدريهم بعض النفوس ، أو تظلمهم أو تغمطهم حقهم ، فهم أخوة في جانبين : جانب الإنسانية والانتساب إلى آدم عليه السلام ، وجانب أخوة الإسلام .

•مسئولية هذه الأمة : وبعد هذه التعاليم والتوجيهات العلوية يخلص عليه الصلاة والسلام ليقول لهم : " يا أيها الناس إنه لا نبي بعدي ، ولا لأمة بعدكم ". وإذا كنتم أمه آخر رسالة فقد وجب عليكم أداء أمانة عظيمة ، ومهمة كريمة ، كانت الأنبياء والرسل تقوم بها قبلكم ، فأصبح كل واحد منكم مكلفا بأدائها للعالمين ، وكل في حدود استطاعته وقدرته ، حتى إذا وصل الأمر إلى الإمام ، وجب عليه القيام بذلك حق القيام .

ويؤكد عليه الصلاة والسلام على أمور هامة في شخصية المسلم فيقول: " ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم ، وأولاهن أن يكون عمله خاص لوجه الله وليس لغرض شخصي أو مطمع دنيوي . وثانيتهن أن يناصح ولاة الأمور بما يراه من خلل أو انحراف كذلك لوجه الله لا ليصيب منهم ، أو يظهر تفوقه عليهم ، وثالثهن ، أن يلزم جماعة المسلمين ولا يفرقها ولا يشق عصا وحدتها . فإن تجرد القلب من مناقضات هذه الأمور الثلاث يكون قد تطهر من معوقات الحياة الإجتماعية لأن عوامل الأثرة والأنانية أساس كل بلاء وشر .

•خطر الدنيا : وينبه النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته إلى خطر الدنيا ، والإقبال عليها ، والاندفاع نحوها وجعلها المحور الذي يعيش له الإنسان ، ويعطيه نيته وكده ، فيجمع في ذاته كل معاني الأنانية ، وعبادة الذات .

•الخيانة ونقض العهد : ثم يحذر عليه الصلاة والسلام من الخيانة ، وهي نقض العهد ، ومخالفة الحق سرا وعلانية ، فإن أسوأ ما يبتلى به الإنسان الخيانة ، وهي أخت النفاق ، بل هما شيء واحد . والخيانة نوعان : خيانة الخالق وخيانة المخلوق . قال تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ، وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلون)** .[٩٠]

•العلم وضياعه : ثم نبه عليه الصلاة والسلام أمته إلى أهمية أن

---

90 سورة الأنفال ، الآية ٢٧

تقتبس العلم وتنتفع به في حياتها .

• الإيمان بمحمد والأنبياء من قبله : حيث بين عليه الصلاة والسلام أن من كان من أهل الكتاب ، وهم اليهود والنصارى من أسلم وتابع محمد فله أجره مرتين ، مرة لإيمانه بنبيه موسى أو عيسى ، ومرة لاتباعه الشريعة الناسخة ، وأصبح بعد إيمانه بمحمد مسلما ، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

• أولياء الله : وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته أولياء الله الذين ذكروا في الكتاب العزيز في غير موضع منها قوله تعالى : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ [91] . ذلك أنهم المتقون الذين يتأملون الفرائض ويلتمسون آثارها على الفرد والجماعة ، وهم بذلك يدركون أن الشريعة كلها منفعة ورحمة ، وغايتها إسعاد الإنسان وقوته ، في الروح والجسد والفكر وبناؤه متكاملا سويا .

• المنهج الوسط : ويحذر عليه الصلاة والسلام المستمعين إليه ، والمبلغين عنه ، والمتلقين لتعاليمه إلى يوم القيامة من الغلو في الدين ، ومن التفريط الذي لا يرقى إلى التزام بالتشريع والتسهيل بكل شئ حتى بالمحرمات ، والتهاون بالفرائض والأركان . ولهذا كانت الشريعة المطهرة وسطا بين جانبي الإفراط والتفريط .

• عزة الإسلام وقوته بقوة القيادة : قد بين النبي صلى الله عليه وسلم لمن حوله أن الدين الذي اجتمعوا عليه سيبقى عزيزا قويا لا ينال منه نفاق المنافقين ، ولا كيد الكائدين . كما أن المفاهيم التي كانت قبل الإسلام في الاجتماع والاتحاد ، كانت قائمة على القبلية والعصبية ، والأرض والجنس والطبقية والمصالح . فألغى الإسلام كل هذا ، وجعلها قائمة على الاخوة في الدين ، والتناصر على الحق ، و السعي لبسط الخير والأمن والعدل على

---

91 سورة يونس ، الآيات ٦٢-٦٤

الأرض .

• الدجال وخطره : وكشف النبي صلوات الله عليه وسلامه عليه لأمته عن شر غائب ينتظر هذه الأمة ، ويفتن الإنسانية كلها ، ألا وهو الدجال .[٩٢]

• غواية الشيطان : وفي غوايته المسلمين في أرض الحجاز وصرفهم عن عبادة الله يقول صلى الله عليه وسلم : " أما بعد : أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم "

• الدعاء والتوجه إلى الله صفة من صفات العبودية الحقة والعابدين الصادقين . وقد جاء التأكيد عليه في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وهذا التوجه في السراء والضراء ، في الملأ والخلاء دليل على نبض الإيمان في القلب ، وعمق الصلة بين العبد والرب .

• الإسلام غير الجاهلية : لقد أعاد محمد صلى الله عليه وسلم برسالته الحياة الإنسانية إلى وضعها الصحيح ، فرد على أهل الكتاب اليهود والنصارى تحريفهم لشريعة الله. وقد جاء ذلك في نص القرآن الكريم حيث قال تعالى : ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ،ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا : أشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ [٩٣] وقال تعالى : ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ، وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون** ﴾ [٩٤]

• الإقرار بالبلاغ : ثم يمد عليه الصلاة والسلام يديه مستجوبا لهم

---

92 التفاصيل في : فاروق حمادة ،مرجع سبق ذكره ، ص١٤٣ -١٦٤

93 سورة آل عمران ، الآية : ٦٤ .

94 سورة البقرة ، الآيات ٧٨ - ٨٨

بقوله : " ألا هل بلغت ؟ " فيجيبونه بنعم ، إنك قد بلغت ونصحت ، ونحن نشهد أنه عليه الصلاة والسلام قد بلغ وأدى ونصح . فيشهد الله عليهم ثلاثا أنه قد بلغهم قطعا للعذر وإقامة للحجة في هذا الأمر .

كما رأينا فإن هذه الوصية هي دستور المسلمين الجامع في شؤون الدنيا والآخرة وفيها الأسس التي تحافظ على وحدة الأمة ووجودها . والأمة الإسلامية في أمس الحاجة إلى هذه القيم السماوية والتعاليم النبوية في هذا العصر .

ح .الجوانب الإعلامية لخطب الرسول صلى الله عليه وسلم: [٩٥]

مما سبق ذكره يتضح لنا بعض الجوانب الإعلامية لخطب الرسول صلى الله عليه على النحو التالي :

- الإعلام ضرورة ملازمة للإسلام .

- الإعلام بالدعوة باستخدام الوسيلة المناسبة في الوقت المناسب حيث بدأ الرسول بالإعلام عن دعوته سرا عبر الاتصال الشخصي . . ثم كانت الخطبة في مرحلة الجهر بالدعوة .

- تعدد مواضيع الخطب النبوية وشمولها ، حيث أدت الخطب النبوي دورا كبيرا في التوجيه والإرشاد وفي كل مجال من مجالات الحياة .

- الإعلان عن حق الإعلام والاتصال .

- إعلان مبدأ المسؤولية الإعلامية في الإسلام التي تعتبر جزء من المسؤولية العامة في الإسلام التي تتضمن كذلك المسؤولية الخلقية والاجتماعية .

- أكدت الخطبة الإطار العام للنظام الإسلامي ، وربط حق الاتصال بالإبلاغ ، وحرية الإعلام بخصوصية الأمة الإسلامية .

- الهدف الإعلامي العام هو نقل النظام الإعلامي من الجاهلية إلى

---

95 محمد إبراهيم محمد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص ٣٩٣ - ٣٩٤

الإسلام .

- الإعلان عن قيام النظام الإسلامي ، الذي يشكل الإطار العام للأمة الإسلامية ، وترتبط به كافة النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

- تأسيس السياسات الإعلامية الإسلامية من هدي الشريعة الإسلامية ومن السنة النبوية المطهرة .

خ. اللغة المستخدمة في خطب الرسالة وتأثيرها عند رسول الله :

يتسم أسلوب الرسول عليه السلام (وخاصة في حجة الوداع) بأنه أسلوب الانتقاء والاصطفاء ، والرصانة والقوة ، والجزالة والفخامة ، ألفاظه مختارة ، جمله قصيرة مركزة تحمل في طياتها معاني غزيرة بألفاظ قليلة ، عباراته عميقة الدلالة ، سدت مكانها ، وقامت بذاتها ، لا عجز فيها ولا قصور ، سامية في معانيها ، سامقة في مبانيها ، كل ذلك كان في أسلوب بلاغي محكم اعتمد فيه الإيجاز ، بلغة سهلة دانية قريبة من النفس ، لا نشوز فيها ، ولا خلل ، ولا غريب، ولا حوشي ، فأسلوبه سهل ممتنع ، مركز مصقول ، تختفي فيه الصنعة البلاغية ، وينعدم فيه التكلف والتصنع .

وما كان يطرأ على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يخطب تمثيلا لمشاعره وأفكاره ، وإنما يجعل الخطبة وسيلة سمعية بصرية في نفس الوقت. " و الخطيب الذي توجد فيه هذه الخاصية يعتبرا منبرا حيا قوي التأثير في نفوس سامعيه ، ومشاهديه كذلك ، لأن اقتران الاستماع بالمشاهدة في فترة انفعال مقدرة ومحددة ، يترك آثارا في النفس والحس لا تندرس معالمها بسهولة ، ومن هنا كان أقدر الخطباء وأعظمهم تأثيرا ذلك الذي يقول الخطبة مرتجلا ، ويؤديها متأثرا منفعلا .[٩٦]

ويتمثل أسلوبه فيما يلي :

١. الحمد والثناء :حيث أضحى الحمد والثناء أساسا لبداية كل خطبة،

---

96 هاشم صالح مناع ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ -١٢٩

وإذا خلت الخطب من ذلك سميت الخطبة بالبتراء ، كما تسمى التي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالشوهاء [٩٧] . ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : " كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع " .[٩٨]

٢. الاستفتاح (الاستهلال) : الاستفتاح من الأساليب التي ألفها العرب ، وأصبحت ركنا من أركان الخطابة عامة ، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (أما بعد) بعد دعائي لك ..حمد الله فكذا وكذا [٩٩] وقوله صلى الله عليه وسلم (ألا هل بلغت) و (ألا إن كل مأثرة ...) و (ألا إني قد أمضيتهما ...) و (ألا يبلغ الشاهد الغائب) . فهذه الأساليب تلفت انتباه السامع ، وتدل على أهمية الموضوع . ونشير هنا إلى أن الدراسات الإعلامية تؤكد أن هذه طريقة مهمة وناجحة في إثارة اهتمام القارئ، وهي أيضا من أساليب الخطاب القرآني .

وعلى كل حال ، فإن من المتعارف عليه عند علماء البلاغة والبيان أن هناك أمورا معينة وأحوالا خاصة إذا أجاد فيها القائم بالاتصال براعة الاستهلال أجاد في غرض من أغراض الاتصال . والمتتبع للبداية المثيرة للانتباه في هذه الخطبة البليغة يجد الاستفتاح بجملة خبرية هزت الجمهور المتلقي وأثرت كثيرا وهي الإعلان بقرب أجله ، وقرب ختم الرسالة المحمدية ؛ حيث قال صلى الله عليه وسلم " أيها الناس : اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف ؟!!" .

وقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه البداية أسلوبين من الاستهلال هما : الاستفتاح بالنداء الشامل للناس ، والاستفتاح بالجملة الخبرية المثيرة لاهتمام جماعة المسلمين . وبعد مشاركة الناس همومهم

---

97 البيان والتبيين ١/٣٤٨ و٢/٦و ٦١

98 رياض الصالحين ، ص ٥٠٤ (كتاب حمد الله تعالى وشكره)

99 التفاصيل في : اللسان والقاموس (بعد) . زعم أن أول من قال : " أما بعد " هو داود عليه السلام أو كعب بن لؤي بن غالب من قريش من عدنان .

والتعاطف مع قضاياهم ومشكلاتهم من الأسس الهامة لجذب الاهتمام ، وإثارة الاهتمام واستثارة العقول . وقد أتقن الاتصال النبوي هذا الأسلوب الاتصالي فأقنع الناس بالحق .

٣. الأساليب الإنشائية والخبرية : وأول ما يلاحظ على خطبة الوداع اندماج الأساليب الخبرية مع الأساليب الإنشائية التي أوضحت التشريع وبينت أمور الدين للمسلمين ، وأوضحت بعض الأحكام الفقهية ، بالإضافة إلى الوعظ والإرشاد والنصح والتوجيه وشد الانتباه والتحذير والزجر .

٤. أسلوب الإخبار : وقد جاء هذا الأسلوب في الرواية الثانية لنص الخطبة " ألا وإني فرطكم على الحوض ، وأكاثر بكم الأمم ، فلا تسودوا وجهي . . . " وفي الرواية الرابعة " إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق الله السماوات والأرض منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات، وواحد فرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلغت ؟ . وتعتبر الوظيفة الإخبارية من أهم وظائف الإعلام والاتصال بالجماهير.

٥. الأمـــر (دفع لسلوك) : الأمر في هذه الخطية طلب لأمر شرعي ، وحكم لا يقبل المناقشة في أخذه ورده ، ولكنه جاء للتطبيق والتنفيذ، لأنه صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ، فلم يبق أمام المسلم إلا الانصياع والتنفيذ . مثال ذلك : (فاحذروه على دينكم) و (اتقوا الله في النساء) و(استوصوا بهن خيرا) و(ألا ليبلغ الشاهد الغائب) وكل هذه الصيغ خرجت إلى النصح والارشادوالوعظ والتوجيه .

٦. الاستفهام : وهو أسلوب هام جدا لأنه يخلق التفاعل بين المتكلم والسامع ، أي بين السائل والمسؤول ، لذلك ارتكزت عليه موضوعات الخطبة ، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر عبارة (ألا هل بلغت) مستفهما مستفسرا من الناس عن موضوعاته التي تحدث عنها ، إنها وصلت

دون لبس أو غموض أو تقصير ، دون انتظار الإجابة منهم لأنها معروفة ولابد ن تكون بالإيجاب .

٧. النداء : لم يكن النداء وسيلة أساسية في الخطبة ، وإنما كثر عند بداية الموضوعات ، للفت أنظار الحاضرين ، وشد انتباههم ، وحثهم على الإنصات لسماع الحديث ، والحرص على إيصال الموعظة إلى جميع القلوب: من مثل : " أيها الناس ، حيث تكون (يا) أداة النداء تحمل فيها معنى التنبيه .

٨. التوكيد : امتازت الخطبة بأساليب التوكيد المتنوعة التي جاءت مطابقة لخدمة الغرض المراد ، فهي تؤكد عند لزوم التأكيد ، وتوضح عند ضرورة التوضيح ، كما هو معروف دائما في الأسلوب النبوي العظيم . وتتجلى هذه التأكيدات باستعماله " إن " منفردة ، من مثل قوله صلى الله عليه وسلم : " (إن دماءكم ..) و (إن ربا الجاهلية موضوع) و (إن أول ربا رب ..) و (إن دماء الجاهلية ..) و " أن " مقترنة " ب" قد " ، من مثل : (إني قد أمضيتهما ...) و(أن الشيطان قد يئس ...) و (إن الزمان قد استدار ..) . وأحيانا يكون التأكيد بأساليب القصر من مثل : (لا إله إلا الله) و (لا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم) و (لا يحل لامرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه) . ويأتي التكرار ، لتثبيت المعنى المراد وتقويته في أذهان السامعين ولتأكيد أنها خطبة الوداع . ومن أجل ذلك صرح صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى حينما قال : " لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا " .

٩. استخدام الشرط : شاع استخدام الشرط في الخطبة ، لما له من أهمية بالغة ، لأنه ينم على قيمة الموضوع ، وقوة مقدرته على ربط الأحداث بعضها ببعض .. ونلاحظ ذلك في مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (من يهد الله فلا مضل له) و (من يضلل فلا هادي له) و(فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها) و (فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تضلوهن) و(فإن انتهين أطعنكم فعليكم رزقهن ...) و(من أدعى إلى غير

أبيه ... فعليه لعنة الله ....) و (وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده : كتاب الله وسنة نبيه) .

١٠. الصور البلاغية: بهدف تقريب الفكرة ، والتأثير على السامع ، كالتشبيه في قول صلى الله عليه وسلم : " أن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا " . وقد استخدم المشبه به من واقع المسلمين المحسوس ليجسد تلك الحرمة . أما قوله صلى الله عليه وسلم : " إنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا " ، فهو تشبيه بليغ ، يشعر فيه صلى الله عليه وسلم الرجل بأنه القادر وأن المرأة ضعيفة ، وإذا ظلمت فلا تنتصر لنفسها. ثم أضاف على الصورة جمالا بقوله: أنها لا تملك من نفسها شيئا . إنه البيان النبوي الشريف والدراسة النفسية لأعماق الإنسان . وهناك استعارة في قوله صلى الله عليه وسلم : " ألا إن كل مأثورة في الجاهلية ودم تحت قدمي هاتين " . فقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم بين المأثرة التي هي معنوية ، وما يفتخر به العربي وعلى الأخص الأخذ بالثأر . ويتجلى سر جمال هذه الصورة في التقابل بين المآثر العظيمة العالية وبين الاحتقار الشديد ، فهي تحت قدميه كحشرة ضارة لابد من التخلص منها ومن أضرارها .

١١. البديع : لا توجد محسنات لفظية في الخطبة ، وإنما توجد العفوية المتزنة المتناسقة من مثل : تكرار التأكيد ، ومثاله : " .. كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا " و " لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا " . والمقابلة ، ومثالها : " من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له " . و" إن لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق " . والطباق ، ومثاله : أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهن خيرا ". إن كل ذلك اقتضاه السياق من اجل النصح والإرشاد .

١٢. العاطفة والخيال :. يقول الله عز وجل في عاطفة الرسول صلى الله عليه وسلم الصادقة على المسلمين : **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم**

عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [١٠٠] . وهذه العاطفة تشتد أحيانا خشية على الناس من النار ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : " فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " و" فلا تظلموا أنفسكم". وتهدأ أحيانا أخرى بهدف تحريك الضمائر للحصول على التصديق والإجابة ، مثل : " اسمعوا مني أبين لكم ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا " ، و" استوصوا بالنساء خيرا " .

١٣. الإيجاز والوضوح : تميزت خطبه عليه السلام بالإيجاز والوضوح بحيث تعطي المعنى المطلوب ، وتحقق الهدف بأقصر الطرق وأقل الكلمات حتى لا يمل السامعون وينصرفوا عن متابعة استماع الخطبة أو الرسالة الموجهة لهم .

١٤. أسلوب الحوار والتساؤل : ويظهر هذا الأسلوب في خطبة حجة الوداع في صدر الرواية الثانية لنص الخطبة :" أتدرون أي يوم هذا ؟ وأي شهر هذا ؟ وأي بلد هذا ؟ " . وهذا الأسلوب الحواري له تأثيره في العملية الإعلامية ، إذ يحقق القرب النفسي بين القائم بالاتصال والمتلقي . هذا بالإضافة إلى أن التساؤل يكشف جوانب النقص في المعرفة لدى الجمهور المتلقي ، ليعمل القائم بالاتصال على تعديل رسائله الإعلامية بما تقتضيه الحاجة .

١٥. أسلوب تحويل الانتباه: ويستخدم هذا الأسلوب تبعا للظرف الاتصالي، ففي خطبة غزوة بدر حوّل الرسول صلى الله عليه وسلم انتباه جماعة المسلمين إلى القوة الحقيقية وهي قوة الإيمان لرفع الروح المعنوية للجندي المسلم . وفي خطبة غزوة تبوك حوّل الرسول صلى الله عليه وسلم انتباه الجيش من المعركة مع العدو إلى الانتصار على النفس وجهادها لتخليص الرأي العام من الجاذبية المادية وجاذبية الأعراف السائدة ، ولتقوية الجبهة الداخلية قبل الاتصال الحضاري بالأمم الأخرى .

---

100 سورة التوبة : الآية ١٢٨

١٦. أسلوب الإقناع بضرب الأمثال : وقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب في جميع خطبه تقريبا لبيان الحق وتقريبه إلى الأذهان. وهو يستمد هذا الأسلوب من منهج الخطاب القرآني .

١٧. استثارة الدوافع الإيمانية : وقد استخدمه عليه السلام في خطبة أول جمعة في المدينة المنورة لتقرير الحقائق بشكل لا يقبل النقاش والجدال ، ولبناء المجتمع الإسلامي الفاضل المتكافل المتراحم على أساس من الأخوة الإيمانية والقيم الإسلامية .

القسم الرابع

١ ــ الخاتمة

تبين من التحليل السالف ما يلي :

١. إن خطب الرسول صلى الله عليه وسلم وخصوصا خطبة الوداع تعد نقلة للبلاغ في الاتصال بالجماعة الإسلامية من الاتصال المباشر إلى الجمعي أي إلى شبه الاتصال الجماهيري . إذ أنه عليه السلام لم يكن ينظر للمتلقين على أنهم متلقين فقط وإنما مشاركون في تحمل مسئولية البلاغ المبين .

٢. وترتب على ذلك أن خطب الرسول عليه السلام أفسحت المجال أمام الاتصال الإسلامي العالمي ، حيث دخل كثير من أهل الكتاب في أطراف الجزيرة في ذمة الدولة الإسلامية عندما وجدوا في الاتصال الإسلامي عملية الاهتمام بالإنسان في كل مكان ، وعندما وجدوا فيه أيضا مخاطبة الإنسان وفق طبيعته التي فطره الله عليها ، فهو إعلام واقعي يراعي واقع الإنسان وواقع الحياة .

٣. خطبة الوداع تعد بمثابة البيان الختامي لرسالة الإسلام ، حمل الرسول صلى الله عليه وسلم أمته أمانة تبليغها إلى من لم تبلغه من البشر في كل أصقاع الدنيا .

٤. في خطبة الوداع إعلان عن حقوق الإنسان في الإسلام وبيان أن المسلم محرم دمه وماله وعرضه . وقد كرر صلى الله عليه وسلم ذلك في خاتمة الخطبة للتأكيد على ضرورة هذا المبدأ . وتشكل الحقوق التي أكدها عليها الرسول صلى الله عليه وسلم الإطار العام للنظام الإسلامي ، ويرتبط بها حق الاتصال والإبلاغ ، وحرية الإعلام المرتبط بخصوصية الأمة الإسلامية . وبعد هذا الإعلان بأربعة عشر قرنا أدرك المجتمع الدولي أن هذه الحقوق مجتمعة ضرورة إنسانية أساسية ، وعماد للنظام الاجتماعي ،

ولذلك أقرها .

٥. أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الخطبة عن مبدأ من أهم مبادئ الإعلام الإسلامي وهو مبدأ المسؤولية الإعلامية التي هي جزء من المسؤولية العامة في الإسلام بشتى أنواعها لارتباطها بحرية القول التي جعلها الإسلام حقا لكل إنسان. ولذا حمل الرسول صلى الله عليه وسلم جمهور خطبة حجة الوداع مسؤولية الإعلام بدين الله ، وأداء واجب البلاغ المبين ، وهم بدورهم حملوا هذه المسؤولية لكل أفراد الأمة .

٦. كما أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الخطبة مبدأ تكافؤ الفرص والمساواة على أساس العقيدة والمبدأ .

٧. نقل الرسول صلى الله عليه وسلم النظام الإعلامي من الجاهلية إلى الإسلام ، ذلك أن الإسلام نظام متكامل يقوم على أسس ثابتة ومبادئ محددة بوضوح يفهمها العامة ، ويجد فيها المتخصصون مجالات للتعمق والتأمل .

٨. وإلى جانب النظام الإعلامي أعلن الرسول صلى الله عليه قيام النظام الإسلامي ، الذي يشكل الإطار العام للأمة الإسلامية ، وترتبط به كافة النظم المجتمعية . وهكذا الإسلام منذ آلاف السنين ما أكدته الدراسات الإعلامية المعاصرة من الارتباط الوثيق بين النظام الإعلامي والإطار العام للمجتمع .

٩. بين الرسول صلى الله عليه وسلم إن من مؤهلات كسب ثقة المتلقين أن يظهر المصدر حرصه الشديد على مصلحتهم ورعايته لاهتماماتهم . وقد ظهر ذلك في الأساليب الكثيرة التي استخدمها عليه السلام .

١٠. عالج عليه السلام مختلف الموضوعات وبشتى الوسائل واختار الجماهير ، واستعان بشخصيته لكي يبني علاقات الناس ببعضهم وبالخالق .

١١. نجح الرسول عليه الصلاة والسلام في اختيار الوسيلة الإعلامية

المناسبة لطبيعة الرسالة والمستقبل وهي قاعدة استنها صلى الله عليه وسلم منذ بداية الدعوة السرية في مكة وحتى آخر يوم في حياته .

١٢. استن الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال خطبه قاعدة للرسالة الإعلامية المؤثرة لكي تبلغ غايتها ، وذلك بأن تكون جملها قصيرة واضحة شاملة للمعاني المطلوبة وذات أسلوب سهل ، فلا يجد بذلك المستمع جهدا في فهمها ولا متابعتها ، وتكون بعيدة عن الإطالة حتى لا يحدث الملل، والانصراف عن سماعها .

١٣. كما استن قاعدة الانتشار الإعلامي في بث الدعوة .

١٤. وأيضا استن تعدد الأساليب الإعلامية للتوكيد ودفعا للملل وإيمانا باختلاف الجماهير والموضوعات والأوقات .

١٥. أكد الرسول صلى الله عليه وسلم قاعدة إعلامية هامة وهي تحري الصدق والحقيقة في الرد على الإعلام المضاد والدعايات المغرضة .

١٦. وكذلك أكد أهمية اختيار الوقت المناسب لبث خبر ما في المجتمع.

كما أختم هذه الدراسة المتواضعة عن خطب الرسول عليه ألف الصلاة والسلام بما قاله عباس محمود العقاد : " إنما نجحت دعوة الإسلام لأنها طلبتها الدنيا ومهدت لها الحوادث وقام بها داع تهيأ له بعناية ربه وموافقة أحواله وصفاته . فلا حاجة بها إلى خارقة ينكرها العقل أو إلى علة عوجاء يلتوي بها ذوو الأهواء ، فهي أوضح شيء فهما لمن أحب أن يفهم وهي أقوم شئ سبيلا لمن استقام" . فالسيرة المحمدية نور المستنير وهديها نبراس للمستهدي ، وار شادها ملجأ لكل مسترشد . وصدق الله العظيم إذ يقول : " ولكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا " . [١٠١]

---

101 شعبان محمد إسماعيل ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١٢

وصلى الله على هذا النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين ، وحشرنا تحت لوائه يوم الدين ، ورزقنا ذرية صالحة طيبة تكون من المبلغين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

***

٢. المراجع النهائية

ـ القرآن الكريم .

١ ـ كتب الصحاح

٢ ـ ابن كثيرا ، معجزات النبي صلى الله عليه وسلم (القاهرة : مكتبات الأهرام وسائر مكتبات الجامعي ، ١٩٩٦)

٣ ـ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، الفصول في سيرة الرسول ، ط١ (الكويت : غراس للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣)

٤ ـ أبي عبدالله مصطفى العدوي ، أدب التخاطب ط١ (القاهرة : مكتبة صنعاء الأثرية ، ١٩٩٩)

٥ ـ أحمد غلوش ، علم الخطابة ، وعبد الغفار محمد عزيز (الريا ض: دار المعارف السعودية للطباعة والنشر ، ١٩٧٧)

٦ ـ احمد الحوفي ، فن الخطابة (القاهرة : د.ن ، د. ت)

٧ ـ ايليا حاوي ، فن الخطابة وتطوره عند العرب (بيروت : د.ن ، د.ت)

٨ ـ حسن عماد مكاوي وليلى حسين السيد ، الاتصال ونظرياته المعاصرة، ط٢ (القاهرة: الدار المصرية للكتاب ، ٢٠٠١)

٩ ـ عبد الرب بن نواب الدين ، الدراسة النظرية للخطابة ، سلسلة أصول الدعوة وطرقها (٣) ، ط١(الرياض : دار العاصمة ، ١٤١٣ هـ)

١٠ ـ عباس محمود العقاد ، عبقرية محمد (بيروت : المكتبة العصرية ، د. ت)

١١ ـ عبدالله سنده ، خطب ومواعظ الرسول صلى اله عليه وسلم ، ط١(بيروت : دار المعرفة ، ٢٠٠٥)

١٢ ـ على عجوة ، الأسس العلمية للعلاقات العامة (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨٩)

١٣ ــ على محفوظ ، فن الخطابة ، (القاهرة : د. ن ، ١٩٩٩)

١٤ ــ فاروق حمادة ، الوصية النبوية للأمة الإسلامية في حجة الوداع ، ط٢ (بيروت : دار إحياء العلوم ، ١٩٩٢)

١٥ ــ محمد إبراهيم محمد إبراهيم ، الجانب الإعلامي في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٩٨٦)

١٦ ــ محمد احمد جاد المولى بك ، محمد المثل الكامل ، ط٦ (القاهرة : مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ، ١٩٦٨) .

١٧ ــ محمود المصري (جمع وترتيب) ، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ط١ (القاهرة : دار التقوى ، ٢٠٠٢)

١٨ ــ محمد خليل الخطيب ، خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ، إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، ٥٧٤ خطبة من كنوز الدرر وجوامع الكلم (القاهرة : دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، ١٣٧٣ هـ)

١٩ ــ مصطفى الشكعة ، البيان المحمدي ، ط١(القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٥)

٢٠ ــ نافذ حسين عماد ، تيسير الاطلاع على أخبار حجة الوداع ، ط١ (المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٤)

٢١ ــ لسان العرب – ابن منظور ١/٣٦٠-٣٦١ مادة خطب .

٢٢ ــ تلخيص الخطابة / ابن رشد .

٢٣ ــ سهيل حسين الفتلاوي ، دبلوماسية النبي محمد صلى الله عليه وسلم : دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر ، ط١ (بيروت : دار الفكر العربي ، ٢٠٠١)

٢٤ ــ سيرة ابن هاشم .

٢٥ ــ شعبان محمد إسماعيل ، من خصائص الرسول وشمائله ، ط١(المدينة

المنورة : كلية التربية ، ١٩٨٠)

٢٦ ــ صالح بن فوزان بن عبدالله آل فوزان ، الخطب المنبرية في المناسبات العصرية ، ط١٠ (بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣)

٢٧ ــ صالح مناع ، خطبة الرسول في حجة الوداع : تخريج ودراسة وإعراب وتحليل وترجمة إلى الإنجليزية ، وخطب أخرى للرسول صلى الله عليه وسلم ، ط٢ ، (بيروت: دار الفكر العربي ، ٢٠٠١)

٢٨ ــ المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة .

٢٩ ــ سيرة ابن كثير .

٣٠ ــ زاد المعاد .

٣١ ــ جامع الأصول، لابن الأثير

٣٢ ــ البيان والتبيين .

٣٣ ــ رياض الصالحين ، ص ٥٠٤ (كتاب حمد الله تعالى وشكره)

٣٤ ــ راشد على عيسى ، مهارات الاتصال (قطر : وزارة الأوقاف ف الإسلامية ، ٢٠٠٤).

٣٥ ــ لبنان هاتف الشامي ، العلاقات العامة : المبادئ والأسس العلمية ، ط١ (الأردن : اليازوري ، ٢٠٠١)

www.arado.org.eg/AradoTrainingDetails.asp?ID=10140&TCCatid=24&TCTvpe=P&TCYear=2006